منظمة الأمم المتحدة
للتربية والعلم والثقافة

تغيير العالم: للشباب دور يؤدونه

ما أكثر أوجه الاختلاف والتشابه بينهم
مونيك كولمان

ثورة متنقلة
جيجي ابراهيم

ربيع الساخطين
ألفريدو تروجيو فرنانديز

أسلحة عجائبية
سيرج أميسي

أقوى من دوي القنابل
نيت مارشال

نجوم في ضوء القمر
كارول ناتوكوندا

الشابة سوغار
نوشان عباس

ثائرون ولثورتهم أسباب
ينز لوباده

ليس هناك سبيل آخر
تشاو يينغ

إيكولوجي إلى أبعد حد
كارلوس بارتساغي كوك

الثورة: فعل حضاري راق
خالد يوسف

تموز/يوليو –
أيلول/سبتمبر ٢٠١١

رسالة اليونسكو

ISSN 2220-3540
e-ISSN 2220-3559

السنة الدولية للشباب ٢٠١٠-٢٠١١

«إذ لم يبقَ سوى خمس سنوات على بلوغ الهدف النهائي لعام ٢٠١٥، وهو الأجل المحدد لتحقيق الأهداف الإنمائية للألفية، بات من الضروري أكثر من أي وقت مضى تشجيع الشباب على تكريس أنفسهم لإقامة عالم أكثر عدلاً»، هذا ما كتبته إيرينا بوكوفا، المديرة العامة لليونسكو، في رسالتها بمناسبتي بدء السنة الدولية للشباب (آب/أغسطس ٢٠١٠ - آب/أغسطس ٢٠١١) واليوم الدولي للشباب (١٢ آب/أغسطس).

وقد أعلنت الجمعية العامة للأمم المتحدة هذه السنة الدولية في أيلول/ديسمبر ٢٠٠٩، فوضعتها تحت شعار الحوار والتفاهم. وهي تهدف إلى تعزيز المثل العليا للسلام، واحترام حقوق الإنسان، والتضامن بين الأجيال والثقافات والأديان والحضارات.

وخلال هذا العام، بدأ في الواقع العديد من الشباب ببناء عالم أكثر عدلاً بدءاً من «الربيع العربي». فرفعوا أصواتهم في شتى أنحاء العالم للمطالبة بمكانة في بناء مستقبل بلادهم. وسيقوم المنتدى السابع للشباب الذي تنظمه اليونسكو في الفترة من ١٧ إلى ٢٠ تشرين الأول/أكتوبر ٢٠١١ بإعطائهم الفرصة للتحدث عن تجاربهم ولعرض مشاريعهم ولتبادل أفكارهم.

وتهتم اليونسكو منذ نشأتها بمصالح الشباب الرئيسية. ويهدف برنامجها عن الشباب إلى مضاعفة فرص الشباب بإعطائهم المزيد من المسؤولية وبالاعتراف بدورهم في المجتمع.

وترأست المنظمة، من شباط/فبراير ٢٠١٠ إلى شباط/فبراير ٢٠١١، الشبكة المشتركة بين الوكالات التابعة للأمم المتحدة لتنمية الشباب، إلى جانب برنامج الأمم المتحدة للشباب. وشاركت اليونسكو بهذه الصفة في تنسيق السنة الدولية للشباب.

رسالة اليونسكو

تموز/يوليو ـ أيلول/سبتمبر ٢٠١١

منظمة الأمم المتحدة
للتربية والعلم والثقافة

السنة ٦٤
٢٠١١ – العدد ٣

تصدر **رسالة اليونسكو** فصليا تطبع بسبع لغات عن: منظمة الأمم المتحدة للتربية والعلم والثقافة
7, place de Fontenoy 75352 Paris 07 SP, France

يمكنكم الاشتراك بالنسخة الالكترونية مجانا عبر الانترنت على العنوان: www.unesco.org/new/ar/unesco-courier

المدير المسؤول: إيريك فالت
رئيسة التحرير: ياسمينة شوبوفا
j.sopova@unesco.org

أمانة التحرير: كاترينا ماركيلوفا
k.markelova@unesco.org

هيئة التحرير:
محررة الانجليزية: كاتي نولان
محرر العربية: خالد أبو حجلة
محررة الصينية: ويني كواب
محرر الاسبانية: فرانشيسكو فينسنت ساندوفال
محررة الفرنسية: فرانسواز أرنو-دمير
محررة البرتغالية: أنا لاوسيا غويماريس
محررة الروسية: ايرينا كريفوفا
المتدربة: فانيسا مارلان

اخراج الصور: دانيتسا بيجيلجاك
التصميم: باسيلاين أرتس إل.تي.دي.، أكسفورد
تنفيذ اللغة العربية والطباعة: اليونسكو – قسم المؤتمرات واللغات والوثائق

المعلومات وحقوق إعادة النشر : كاترينا ماركيلوفا
k.markelova@unesco.org + 33 (0)1 45 68 15 88

منصة الويب: شاكر بيرو وفان دونغ فام

مع الشكر الى المتدربة: ميلا زورليفا

يمكن إعادة نشر المقالات بشرط أن تكون مصحوبة باسم الكاتب وعبارة "نقلا عن رسالة اليونسكو"، مع تحديد التاريخ.

تعبر المقالات عن آراء الكتاب وليس بالضرورة عن رأي اليونسكو.

يمكن إعادة نشر الصور العائدة إلى اليونسكو مع علامة حقوق النشر على الشكل التالي: © اليونسكو / اسم المصور.

للحصول على صور عالية الدقة يمكن الاتصال ببنك الصور:photobank@unesco.org

إن الحدود الموجودة على الخرائط لا تعني الاعتراف الرسمي من قبل اليونسكو أو الأمم المتحدة، وهذا ينطبق على أسماء البلدان أو الأقاليم المعنية.

"موردابيللا" تقنية مختلطة، ٢٠٠٩
قطعة فنية من عمل الفنان التشكيلي اللبناني غسان حلواني،
©غسان حلواني

الافتتاحية : ايرينا بوكوفا، المديرة العامة لليونسكو ٥

تغيير العالم : للشباب دور يؤدونه

شباب العالم: ما أكثر أوجه الاختلاف والتشابه بينهم ٧
مونيك كولان تجيب على أسئلة كاترينا ماركيلوفا

عملٌ في سبيل الصمود – آمنة فيتوري ٩

ثورة متنقلة – *جيجي ابراهيم تجيب على أسئلة خالد أبوحجلة* ١١

ربيع الساخطين – *ألفريدو تروجيو فرنانديز* ١٣

كان يا ما كان الشباب ١٥

ينبغي للشباب التشيكي أن يكون لهم رأي – ماثيو بونارد ١٦

أوبامي، أعزّ صديق لي – *باربرا مالينسون* ١٨

أسلحة سيرج أميسي العجائبية – *مقابلة أعدتها سيلين ديمير* ٢٠

مأخوذون في دوّامة قاتلة – *ميلا زورليفا* ٢١

حينما يعلو صوت الشعر على دوي القنابل – *نيت مارشال* ٢٣

لكل حلمه، ولكن... ٢٥
مقابلة حوارية متعددة مع، ب. شامية، م. توالف هوفن، ي، بارتلاند وم. شاهين أجراها كل من ي.ج. بيرل وخالد أبو حجلة

الفن والمستحيل – *ياسمينة سوبوفا* ٣٠

باتريمونيتو في توغو – *كاترينا ماركيلوفا* ٣١

عجائب من الابداع – *سيلفيا بيلون وبيير آرلود* ٣٢

الرياضة: مجرد نقطة انطلاق ٣٣

الألعاب الأولمبية للشباب ٣٣

نجوم في ضوء القمر – *كارول ناتوكوندا* ٣٤

الشابة سوغار من بلوشيستان – *نوشان عباس* ٣٦

ثورة حقيقية لا تعلن عن اسمها – *هيروكي ياناجيساوا* ٣٩

ثائرون ولثورتهم أسباب – *بنز لوباده* ٤٠

ليس هناك سبيل آخر – *تشاو بينغ* ٤٤

الحياة فوق دراجة – *روث بيريز لوبيز* ٤٦

إيكولوجي إلى أبعد حد – *كارلوس بارتساغي كوك* ٤٨

ضيف العدد

الثورة: فعل حضاري راق ٥٠
مقابلة مع خالد يوسف أجراها خالد أبوحجلة

مقتطفات

في رحاب اليونسكو ٥٣
هيلاري كلينتون، بان كيمون، فورست وايتيكر، شاشي ثارور ...

في هذا العدد

«ليس الإنسان مُلزماً بالسعي إلى تغيير هذا الكوكب، وإنما يكفي أن تحدوه الرغبة في تغيير مجرى الأمور إن حادت عن مسارها وضلت سبيلها حيثما وجد»، هذا ما صرحت به الممثلة والمغنية الأمريكية مونيك كولمان التي عينت «بطلة الشباب» للأمم المتحدة بمناسبة السنة الدولية للشباب لعام ٢٠١١ - ٢٠١٠ (ص ٧-٨). وهذا هو بالضبط ما يقوم به الشباب إذ يسعون إلى وضع الأمور في نصابها الصحيح.

في أوائل عام ٢٠١١، قام الشباب بالثورة ضد الأنظمة السياسية السائدة، بداية في تونس (ص ٩-١٠)، ثم في مصر (ص ١١-١٢)، فقدموا بذلك إلى سائر شعوب العالم درساً جيداً في الديمقراطية. وبفضل استخدام الشبكات الاجتماعية، انتقلت الحركة إلى بلدان أخرى في المنطقة، بل وأيقظت أيضاً بلداناً أوروبية مثل إسبانيا (ص ١٣-١٤). أما مطالب الشباب وشعاراتهم وأهدافهم، فهي تقريباً نفسها في كل مكان، إذ إنهم يناضلون من أجل فرص العمل والعدالة الاجتماعية، والتعليم المجاني والرعاية الصحية المجانية وحرية التعبير، كما يناضلون فوق هذا وذاك من أجل الديمقراطية. وقد انتشرت أنباء «الربيع العربي» المذهلة في شتى أنحاء العالم، ولم يلبث أن صار الأمر كناية عن ثورة سلمية يقودها الشباب.

وإذا انتقلنا إلى مناطق أخرى في العالم، نجد الشباب يعبئون أنفسهم من خلال وسائل أخرى. فهاهم الطلاب التشيكيون يقررون الاهتمام عن كثب بشؤون بلادهم والخوض في غمارها (ص ١٦-١٧)، وها هي امرأة رائدة من جنوب أفريقيا أنشأت شبكة اجتماعية مخصصة للمدارس المحرومة (ص ١٨-١٩)، ناهيك عن أولئك الذين لا ييأسون من إمكانية الانتصار في حربهم ضد العنصرية وكراهية الأجانب والتمييز والنزاعات الدامية، وكل ذلك من خلال استخدام الفن وما ينطوي عليه من قدرات وإمكانيات عالية التأثير (ص ٢١-٣٠).

والقاسم المشترك لمجمل هذه المبادرات، هو التضامن، الذي يتضح من خلال فعاليات الشباب المتطوعين والكشافة والرياضيين (ص ٣١-٣٣)، وأيضاً من خلال القصص المؤثرة «للنجمات» الأوغنديات (ص ٣٤-٣٥) وقصة الشابة الباكستانية سوغار (ص ٣٦-٣٨). أما بالنسبة إلى الشباب الياباني، الذي برهن عن كرم كبير في تعاطيه مع الكارثة الطبيعية التي حلت ببلده في آذار/مارس ٢٠١١، فقد فتح الباب أمام تغيير جذري في نظام القيم القائم على النمو الاقتصادي (ص ٣٩-٤٠).

وأخيراً، ليس من المستغرب أن نرى أن مستقبل البيئة يأخذ موقعاً متميزاً في قائمة أولويات الشباب. فالأجيال الجديدة في غاية الحساسية لمسألة الاحتباس الحراري. وتخوض أحياناً معارك حقيقية من أجل المحافظة على البيئة والتصدي لمن يسيء إليها ويتهاون في صونها، فمن الاتحاد الأوروبي إلى الصين، مروراً بالمكسيك وبيرو (ص ٤٠-٤٩)، يكرس آلاف الشباب كفاءاتهم بمختلف أنواعها من أجل المحافظة على سلامة كوكبنا والعمل على تعزيزها.

ولاختتام هذا الملف الذي أنجز في معظمه من طرف كتاب شبان، قمنا بدعوة السينمائي المصري خالد يوسف ليدلي بوجهة نظره بشأن «الربيع العربي» (ص ٥٠-٥٢)، ويقدم إلينا رؤيته للأحداث التي هزت بلده في مطلع عام ٢٠١١ وتداعياتها في مجال الفنون وأثرها في المجتمع والسياسة الدولية. ■

ياسمينة شوبوفا

©جاسون دي كير تايلور/الخضر للسلام

مشهد من "التطور الصامت" تشييد تحت البحر للفنان البريطاني جيسون ديكير تايلور، تم عرضه خلال المؤتمر العالمي لتغيير المناخ في كانكون، المكسيك (COP16) ٢٠١٠. غواصون ينظمون الى التماثيل المغمورة لمناقشة واحدة من تهديدات تغير المناخ: ارتفاع منسوب مستوى مياه البحر.

الافتتاحية:

إيرينا بوكوفا

عددهم يفوق المليار، يعيشون بمعظمهم في البلدان النامية. تمثل فئة العمر ١٥ إلى ٢٤ سنة من سكان العالم أكثر من مليار أمل في مستقبل أفضل، أكثر من مليار فكرة لتغيير العالم تغييرا بنّاء، أكثر من مليار رد ممكن على تحديات عصرنا. سواء كان الشباب حَمَلة شهادات أم لا، أحرارا أو ممّن قرروا التحرر، فهم يبتكرون الثقافة مجددا، يحوزون وسائط جديدة، يجددون طريقة التواصل. إلا أن قليلين هم الذين يعرفون ما يواجه الشباب من لامبالاة. الأغلبية الساحقة بينهم يتحتم عليهم أن يبنوا حياتهم كل يوم في مواجهة عوائق الفقر، والبطالة، وتغير المناخ، وتقليل فرص الانتفاع بالتعليم والرعاية الطبية. فكيف لهم أن يؤثِّروا على المستقبل وهم مستبعدون من عملية اتخاذ القرار؟ إنه ليتوجّب علينا نحن أن نساعدهم، بأن نساند طموحاتهم، ونضع تحت تصرفهم الموارد الهائلة المتمثلة في التربية والعلوم والثقافة والاتصال والمعلومات.

إنّ الهبَّة التاريخية المسمّاة «الربيع العربي» بيّنت بيانا بليغا وغير منتظر، مقدرة الشبيبة على توسيع مجال المكنات. فسنة ٢٠١١، التي أعلنتها الأمم المتحدة سنة دولية للشباب (آب/اغسطس ٢٠١٠ – آب/اغسطس ٢٠١١)، ستبقى في ذاكرة الناس باعتبارها السنة التي اختارت الشبيبة فيها أن تسترجع مشعل الكرامة الإنسانية وتحمله من جديد.

فبادرت منظمتنا على الفور معبّئة قواها لمواكبة تحول هذه المجتمعات في منعطف من تاريخها.

لقد بادرت اليونسكو إلى تونس ومصر من أجل إعداد صحافيين، وتوزيع مواد تعليمية، وتعزيز حرية التعبير، وإصلاح قطاع وسائط الإعلام، وذلك في تطلّع منها إلى الانتخابات القادمة. حضرتُ شخصيا إلى مكان الحدث، الى القاهرة، من أجل سماع الاحتياجات وتدعيم عمل اليونسكو ضمن مجالات اختصاصها. كما حضرت الاحتفال باليوم العالمي لحرية الصحافة، ٣ أيار/مايو في تونس، الذي شاركت في تنظيمه اليونسكو، لاتاحة فرصة لإقامة نقاش عريض في مواضيع تحملها الشبيبة، مثل موضوع الدور الذي تؤديه شبكة الإنترنت والشبكات الاجتماعية في مناهضة الرقابة. وفي حزيران/يونيو الأخير، كانت اليونسكو أول وكالة تنظِّم، داخل مصر، سلسلة من حلقات التدارس والنقاش الحر في موضوع الالتزام المدني والالتزام الديمقراطي.

الثقافة هي أرضية يُبنى عليها المجتمع الديمقراطي الجديد. وثبَت أن لدى الشبيبة المصرية حساسيةً رهيفة بهذا الأمر، حين شكّلوا تلقائيا، أثناء المظاهرات، سلسلة بشرية حول مكتبة الإسكندرية لحمايتها من النهب. فوعي الشبيبة هذا، وما برهنوا عليه من نضج جماعي، تريد اليونسكو تشجيعه ومواكبته على المدى الطويل، بفضل مبادرة تراث الشباب التي تمكّن ورشة تراث فريد من أن يتشرّبوا القيم التي يحملها هذا التراث بعراقة ترقى إلى آلاف السنين، وأن يستعملوا هذه القيم ناقلا موجها يحرزون به مزيدا من التماسك الاجتماعي والابتكار. ■

© اليونسكو/بوبير توختابايف

خلال زيارتها الرسمية الأولى الى كرواتيا في ٢١ و٢٢ أيار/مايو ٢٠١١، افتتحت المديرة العامة لليونسكو في بوريك، منتدى الشباب لجنوب شرق أوروبا حول التراث العالمي. ايرينا بوكوفا (سترة بيضاء) شاركت أيضا باحتفال السنة الدولية للشباب ٢٠١٠ – ٢٠١١.

وفي نفس الروح، سأُطلق مبادرة هامة بعنوان «التراث والحوار»، بمناسبة اجتماع بلغراد لقمة رؤساء دول جنوبيّ شرقيّ أوربا، القادم في أيلول/سبتمبر ٢٠١١. إذ إن العاصمة الصربية كانت مسرحا لثورة حاسمة من حيث إحلال الديمقراطية في المنطقة، ثورة قادتها شبيبة حركة أوبتور (مقاومة) الصربية، وسببت سقوط نظام الرئيس سْلوبودان ميلوسِفيتش. واليوم، بعد انقضاء أكثر من ١٠ سنوات على ذلك الحدث، وفي حين يستمر تقدم المنطقة على طريق التصالح والديمقراطية، تريد اليونسكو إعطاء الشباب الوسائل الكفيلة بتحقيق طموحاتهم، وتعبئة كل ما تنطوي عليه الثقافة من قوى في سبيل تجسيد مشاريعهم، خدمةً للحوار والاحترام المتبادل. إنه الهدف الرئيس لبرنامجنا في مجال تثقيف الشبيبة بالتراث العالمي.

لقد برزت اليونسكو الأولى بين وكالات الأمم المتحدة، من حيث تحديدُ وإعداد برامجَ موجهةٍ خصيصا إلى الشباب. فمنذ انتهاء الحرب العالمية الثانية، وُجدت اليونسكو منخرطة في تنظيم مخيّمات للشبيبة المتطوِّعة على المستوى الدولي، من قبيل الإسهام في إعادة بناء أوربا. واليوم، إنما نهيِّئ الظروف لقيام مستقبل أفضل بضماننا جودةَ التعليم للجميع، وبتحسين حماية تلامذة المدارس في مناطق النزاعات، وتعزيز وسائل التأهيل المهني. ونهيِّئ ذلك أيضا بمساعدة الشبيبة في مختلف بلدان العالم على نسج روابط بينهم، تجعلهم يتآلفون حول قيم حقوق الإنسان المشتركة. وفي هذا الاطار، أنتجت منظمتنا فيلما قصيرا أخرجه ومثّل فيه طلبة مدارس منتسبة إلى اليونسكو من ألبانيا وأذربيجان والبرازيل وبوركينا فاسو وكندا وفرنسا وإندونيسيا ولبنان وأوغندا والجمهورية الدومينيكية. إن صور طلبة المرحلة الثانوية هؤلاء، الذين يعبّرون بحرية عن آرائهم في المساواة بين الجنسين، وفي التنوع، ونبذ العنف والاستبعاد، تشكل مادة تربوية لا بديل عنها، موضوعة تحت تصرف المدارس الثانوية في جميع بلدان العالم.

إن الشبيبة قوةُ تقدُّمٍ في كل مكان من العالم. فَلْنعطها الوسائل التي تمكّنها من إسماع صوتها، والمشاركة الكاملة في الحياة السياسية والاجتماعية، وإيقاظ الضمائر، وفتح الآفاق المسدودة. ذلك هو هدف اليونسكو من خلال برنامجها الخاص بالشبيبة، برنامج يدعم الالتزام في المجال المدني، والابتكار في الميدان الاجتماعي.

كما توجد لجنة شكلت خصّيصا لشؤون الشباب، مكلّفة بتنشيط التعاون بين اليونسكو والمنظمات غير الحكومية. تتألف هذه اللجنة من شبّان، وتُعنى بإعداد منتدى شبيبة اليونسكو، وهو لقاء دولي يقام كل سنتين منذ عام ١٩٩٩، ويمكّن من تقديم توصيات الشباب إلى السلطات الوطنية، ويضمن متابعة هذه التوصيات، وذلك بالتعاون مع الحكومات والمجتمع المدني ومنظومة الأمم المتحدة. وهذه السنة، يُعقد المنتدى السابع لشباب اليونسكو من ١٧ إلى ٢٠ تشرين الأول/أكتوبر ٢٠١١، فيكون مناسبة رائعة، تُعطى فيها الكلمة لشبان من جميع بلدان العالم، ويُصغى إلى احتياجاتهم ووجهات نظرهم.

سيأتي شبان يمثلون ١٩٣ دولة عضوا في اليونسكو ومعها المجتمع المدني، ليناقشوا المنحى الذي ينحوه الشباب في قيادة التغيير. وسيبحثون، من منظور مشاركة الشباب، في ثقافة السلام، والحكم الرشيد، والفرص الاقتصادية. وسيقومون أيضا بغربلة إنجازات السنة الدولية للشباب والدروس المستخلصة منها، ولا سيّما نتائج الاجتماع الرفيع المستوى المعني بقضايا الشباب الذي تنظمه الأمم المتحدة في تموز/يوليو ٢٠١١.

وتوخّيا لمنح الشباب متعة مسبقة باللقاء المذكور، تُطلق اليونسكو باتجاه الشباب، بدءا من شهر تموز/يوليه، حملة تواصل إلكتروني واسعة، بهدف جمع آرائهم وتمكينهم من اقتراح المواضيع العزيزة عليهم. ثم يُستفاد من نتائج هذه المباحثات لإثراء المناقشات القادمة في تشرين الأول/أكتوبر.

ودوما اعتبرت اليونسكو الشبيبة شريكا أساسيا في تكوين عالم تسوده العدالة. فنداء الشباب هو دوما نداء إلى التجديد والاختراع. وكل يوم يأتينا بأمثلة جديدة على هذا الزخم الايجابي. فأتمنّى لهذا العدد من رسالة اليونسكو أن يبُثَّ في كل شخص الرغبة في العمل. فقراءةً ممتعة! ■

الكتابة على الجدران: شعار قبضة حركة الشباب الصربية أوتبور (المقاومة) والتي تسببت في سقوط نظام الرئيس سلوبودان ميلوسيفيتش في عام 2000. هذا الشعار تم استعارته من طرف شباب الثورة المصرية.
الصورة تعود الى تاريخ ٨ نيسان/أبريل ٢٠١١، في شارع محمد محمود، الذي يؤدي إلى ميدان التحرير، المكان الرئيسي للثورة المصرية في كانون الثاني/يناير ٢٠١١.

© ماجي أسامة

"بطهارة أرواحكم، وحماسكم، وقدراتكم، ونبلكم وسموّ مشاعركم، والتزامكم بالمبادئ الإنسانية، يملؤني الأمل في أن تتخطى مصر تحديات المرحلة الانتقالية القادمة لاستكمال الثورة التي أشعلتموها، ولبناء مصر أفضل... إنه الحلم الذي أصبح الآن ممكنًا بفضلكم.»

اسماعيل سراج الدين
مدير مكتبة الاسكندرية
في ١٢ شباط/فبراير ٢٠١١

شباب العالم

ما أكثر أوجه الاختلاف والتشابه بينهم

تجيب مونيك كولمان في هذه المقابلة عن أسئلة كاترينا ماركيلوفا

⬤ نيسان/أبريل ٢٠١١: لحظة من اللقاء المشترك خلال جولة لمونيك كولمان في الهند.
معرض الصور ل«برنامج لقاء»

© جيمي توك

إن مهمة مونيك كولمان، الممثلة والمغنية الأمريكية، التي تبلغ من العمر ٣١ ربيعاً، والتي عُينت «بطلة الأمم المتحدة للشباب»، ترمي إلى زيادة الوعي بشأن الحوار والتفاهم المتبادل، وهما الموضوعان الرئيسيان لسنة الأمم المتحدة للشباب (آب/ أغسطس ٢٠١٠ـ آب/ أغسطس ٢٠١١). ولن تقتصر مونيك على الادلاء بالتصريحات، وإنما ستسعى لتمكين الشباب من أن يكون لهم صوت مسموع، حتى يُعبروا عن أفكارهم وآرائهم.

لقد عُينتِ بطلة الأمم المتحدة للشباب في تشرين الثاني/ نوفمبر ٢٠١٠. وبعد ذلك بثلاثة شهور، قمتِ بجولة في شتى أرجاء العالم. ما هو الهدف من هذه الجولة؟

ثمة عدة أهداف تتعلق بأمور شخصية وتتماشى أيضاً مع شعار السنة الدولية للشباب. فالحياة تقتضي أن يخرج المرء من عزلته، وأن يتخلى عن محيطه العائلي لكي يرى لدى الآخرين جوانب كان يجهلها. فبقائي في الولايات المتحدة لا يتيح لي سوى رؤية ضيقة الأفق بشأن ما يجري في سائر أنحاء العالم. وبصفتي بطلة للشباب، وباعتباري إنسانة، لما كان في مقدوري أن أتكلم عن الفقر لو لم أشاهد مظاهره بأم عيني، ولا أن أتحدث عن قوة الابتكار والإبداع الهائلة التي يتمتع بها الشباب، لو لم تتح لي فرصة لقائهم.

«غير مجبرين بتحويل صورة الكرة الأرضية، يكفي أرادة تغيير الأشياء غير الصالحة حيث هي موجودة.»

السنة الدولية للشباب ٢٠١٠ـ ٢٠١١:
http://www.un.org/fr/events/youth2010

لقد كان الشباب في مقدمة حركات التمرد المتفجرة في عدة بلدان عربية. هل أفضت هذه الأوضاع إلى تغيير نظرتك إلى المهمة الموكلة لك؟

كان من المفروض أن أبدأ جولتي بزيارة إلى تونس، ولكن الاضطرابات اندلعت هناك في اليوم المحدد للسفر؛ ومن ثم فقد قمنا بتغيير مسار الجولة لأسباب أمنية. وجدير بالذكر أن من بين المهام التي أسعى إلى تحقيقها خلال هذه الجولة دعوة الشباب للتحدث عن المشكلات التي يعانون منها قبل أن تتفاقم حدتها وتفضي إلى وقوع انتفاضات قد لا يُحمد عقباها.

ومن المعروف أن الشباب يتمردون ليس لأنهم عانوا كل المعاناة في حياتهم فحسب، بل أيضاً لأن حياة آبائهم وأسرهم تعرضت لمختلف أشكال المحن والحروب والظروف البالغة القسوة. فلا ينبغي اعتبار الشباب بمثابة مخربين يحاولون هدم مجتمعاتهم. كما لا ينبغي أن نلومهم على ما يقومون به للحصول على حقوقهم؛ ولكن من الواجب عليهم أن يعرفوا أن النضال بالطرق السلمية إنما هو أفضل وسيلة لتحقيق أهدافهم. وفي هذا الشأن، فإني أذكر لهم دائماً ثلاثة نماذج لرجال من زعماء الحركات النضالية السلمية، ألا وهم: مارتن لوثر كينغ وغاندي ونيلسون مانديلا.

في شباط / فبراير الماضي، قمت بزيارة إلى الفلبين في اليوم الذي كان يُحتفل فيه بذكرى مرور ٢٥ عاماً على اندلاع الثورة السلمية التي أطاحت بنظام الحكم هناك (النظام الدكتاتوري الذي أقامه ماركوس). وقد شارك في هذه الثورة رجال ونساء (من بينهن حوامل) وأطفال وغيرهم جمعهم هدف واحد. ولم يسقط هناك ضحايا على أثر ذلك. وأود أن أقول إنني من أنصار هذا النوع من الثورات السلمية.

إنك تشددين في برنامج الحوار المتلفز «Gimme MO» (أوصلني بمونيك)، الذي تقدمينه بالاتصال المباشر فقط، على القدرات الهائلة للتعبير التي تتيحها شبكات الإنترنت للشباب.

الواقع أن برنامج «Gimme MO» هو منتدى للشباب يتيح لهم تبادل الأفكار بشأن أمور يميل الناس إلى السكوت عنها، أو إلى تناولها من زاوية مختلفة. وعلاوة على ذلك، فإني أقوم بإجراء مقابلات مع شخصيات مشهورة، وعلماء، ومع غيرهم ممن التقيت بهم. وصحيح أن الغرض الرئيسي، الذي يرمي برنامج «Gimme MO» إلى تحقيقه، يتمثل في أن نبين للشباب أن الناس موضع إعجابهم لا يختلفون كثيراً عنهم. كما أن هذا البرنامج يرمي إلى القضاء على التصورات النمطية. وأذكر في هذا الشأن أنني أجريت مقابلة مع شابة مسلمة لاجئة تقطن في أحد المساكن الشعبية في مدينة ملبورن، باستراليا. وقالت لي هذه الشابة المحجبة، التي تبلغ من العمر ٢١ عاماً، إنها ترفض تماماً الفكرة المبتذلة القائلة بأن النساء المسلمات يخضعن للقهر وليس لهن الحق في التعبير عن آرائهن.

فيما يتعلق بهذه النقطة، هل لاحظتِ أن الشباب الذين التقيتِ بهم أثناء جولتك يتشابهون فيما بينهم أيّاً كانت أوطانهم، أم أنهم يختلفون كل الاختلاف من موطن إلى آخر؟

الحقيقة أن الشباب يتشابهون كثيراً فيما بينهم (ضحك) ! أما الاختلاف الحقيقي الذي يفصل بينهم فإنما يتمثل في أن الشباب الذين ينتمون إلى البلدان النامية هم أكثر وعياً بالمشكلات العالمية المطروحة في الوقت الراهن. وهم يواجهون، حتماً، هذه المشكلات، متى خرجوا من منازلهم للذهاب إلى مدارسهم. غير أن الأمر بخلاف ذلك في البلدان المتقدمة: فالشباب هناك، على وجه العموم، هم أقل اهتماماً بما يجري في أنحاء أخرى من العالم. فلا يشغل ذهنهم سوى أمور شخصية لا تتسم بقدر كبير من الأهمية.

© بازيل

ملصق: جيم مو، الاطار الدي ارتأته مونيك كولمان للشباب

ومن المعروف أن الشباب يتمردون ليس لأنهم عانوا كل المعاناة في حياتهم فحسب، بل أيضاً لأن حياة آبائهم وأسرهم تعرضت لمختلف أشكال المحن والحروب والظروف البالغة القسوة.

ما هي القضايا الحاسمة التي يطرحها الشباب؟

في بلد كأستراليا، إن ما يهم الشباب، في المقام الأول، إنما هو إثبات تقدير الذات والشعور بالرضا عنها. أما المشكلة الخطيرة التي يواجهها هذا البلد فهي معدلات الانتحار بين صفوف الشباب.

ولكن الأمر على خلاف ذلك في بلد مثل بنغلاديش ! وهنا أتذكر سؤالاً طرحه عليّ أحد الطلاب: «كيف يمكن لكِ توعية الناس في البلدان المتقدمة الذين يريدون إنهاء حياتهم، في حين أننا نناضل في بلدنا من أجل البقاء على قيد الحياة؟». وكما تلاحظين فإن هذا السؤال يوضح كل شيء.

أما فيما يتعلق بالظواهر التي لا تتغير من بلد إلى آخر، فهي أن كل شاب يسعى، قدر المستطاع، ليجد له مكاناً في العالم. وإني أبذل قصارى جهدي لأشرح للشباب أن الإمكانيات متوافرة ولا حد لها، ولإقناع كل فرد منهم بأن لديه ما يكفي من القيم والقدرات لشق طريقه في الحياة، وذلك بصرف النظر عما هو في حد ذاته، أو عن الطبقة الاجتماعية التي ينتمي إليها، أو عن معتقداته الدينية، أو عن كونه من فئة المحظوظين أو من فئة المحرومين. إن أمامنا جميعاً عقبات علينا أن نتجاوزها، وهو ما ينبغي لنا القيام به بأنفسنا، وذلك لن يتم إلا إذا ساعد بعضنا بعضاً. ليس علينا أن نُغيّر العالم، بل يكفي أن نُغير الأوضاع التي لا تجري على ما يُرام، أينما وُجدنا. وذلك لأنه لو اهتم كل فرد منا باقتراح حلول للمشكلات المطروحة، فسينتهي بنا الأمر إلى تغيير العالم برمته.

عندما تنتهي السنة الدولية للشباب، هل ستواصلين مناصرة الشباب في شتى أرجاء العالم؟

بالتأكيد. إن ما أقوم به حالياً ليس إلا البداية ! وإني أنوي تسخير كل طاقاتي في برنامج «Gimme MO»، حتى يصير منتدى متلفزاً وموقعاً تفاعلياً تتوافر له جميع التكنولوجيات الجديدة. أما فيما يتعلق بمهنة التمثيل التي أمارسها، فإني سأعمل على الاستفادة مما أقدمه من عروض يُمكن اعتبارها وسيلة هائلة لتوصيل الرسائل إلى الناس. فعندما أسأل بعض الناس عن السبب الذي من أجله انضموا إلى منظمة من المنظمات، أو تحمسوا لقضية من القضايا، فإنهم يذكرون لي، في غالب الأحيان، كتاباً اطلعوا عليه، أو أغنية استمعوا إليها، أو فيلماً شاهدوه ! ومن ثم فإني أود الاستمرار في استخدام الفن الذي أمارسه لكي أخلق مصادر إلهام جديدة. ■

© ناصر نوري

مشهد من الثورة التونسية. تونس العاصمة. نهاية كانون الثاني/يناير من سنة 2011.

إنّ تمرّد الشباب التونسي في كانون الثاني/يناير من سنة ٢٠١١ مثّل أكثر من ثورة بنظر الطالبة آمنة فيتوري فقد شكّل مسألة حياة أو موت بالنسبة إلى شباب على شفير الاختناق. في هذه الشهادة، تعيد آمنة صياغة دور الإنترنت في الثورة، فتناقش بعض الأسباب الكامنة وراءها وتروي كيف تخطت الجحيم.

آمنة فيتوري

عملٌ في سبيل الصمود

في العاشر من كانون الثاني/يناير من سنة 2011، علمت من خلال موقع فيسبوك أن الناس يستعدّون للتظاهر في تونس العاصمة، فاتفقت مع رفاقي في الصف على اللقاء في الرابع عشر من كانون الثاني/يناير أمام وزارة الداخلية. تظاهرنا طيلة ٣ أيام في جادة حبيب بورقيبة وفي ساحة القصبة في قلب المدينة. نظّمنا صفوفنا من خلال موقع فايسبوك شأننا شأن السواد الأعظم من الشباب التونسي ممّا حدا بالقسم الأكبر من المعلّقين إلى إطلاق اسم «ثورة الفايسبوك» على ثورتنا. برأيي، لا يفي هذا التحديد ثورتنا حقّها لأنّ الواقع أكثر تعقيداً بأشواط. ففي الحقيقة مثّلت الشبكات الاجتماعية مجرّد وسيلة استغلّها الشباب بغية الاحتشاد وإطلاق عملية التحوّل في المجتمع وبدء المعركة ضد البطالة والأشكال الأخرى للإذلال والمطالبة باحترام حقوق الإنسان وكرامته.

ومع ذلك، تجدر الإشارة إلى أنّ هذا لا يقلّل من أهمية دور الإنترنت الذي اتضح أنّه يشكّل أداة مذهلة لإرساء الديمقراطية في البلدان العربية فضلاً عن أنّه يسهم بإبراز تنوع أوضاعها السياسية والثقافية. كما يجدر الذكر أنّ الإنترنت يشكّل سلاحاً مخيفاً لمحاربة الرّقابة. بالتالي لم يعد بوسع أحد من الآن فصاعداً أن يقول إنّه الوحيد ويزعم أنّه يهيمن على الساحة لأنّ الإنترنت ستمنعه عن فعل ذلك من خلال فتح فضائه للمناقشات البنّاءة كما أنّ الإنترنت ستسمح لنا بإدراك معنى النّقاش الحقيقي.

ولّدت الثورة ما قبل الأخيرة في تونس «ديكتاتورية ثورية» بنتائجها المعروفة. أمّا في الوقت الحالي، فنحن نشارك في «ثورة مُتحضّرة» وهي ثورة خالية من العنف مطلوب منها أن تفضي إلى ديمقراطية.

ولكن ثمّة تحفّظ أرغب في الإشارة إليه، وهو الإصرار بشكل مكثّف في الصحافة وفي التحليلات على الطابع «السلمي» لهذه الثورة بسبب نزول الشباب إلى الشوارع وهم عزّل. مع العلم أنّه يجب التعاطي مع هذا التعبير بحذر. كانت الثورة سلمية بالنسبة إلى مَن؟ هل كانت الثورة سلمية بالنسبة إلى الناس الذين افترشوا الأرض أياماً عديدة ووقعوا فريسة الخوف وهم يستمعون إلى أزيز الرصاص؟ هل كانت سلمية بالنسبة إلى الجنود والشرطيين الذين عاشوا صراعاً بين تأدية واجبهم المهني والامتثال لقناعاتهم الشخصية؟ هل كانت سلمية بالنسبة إلى المتظاهرين اليافعين الذين لم يروا بحياتهم دماء تُراق بذلك الكمّ الهائل؟ ربما لم يكن الجحيم

الذي شهدناه دامياً بقدر جحيم إخوتنا الليبيين واليمنيين والسوريين إلا أننا عشنا فعلاً لحظات فظيعة.

رأيت أمواتاً وأصبت بالذهول وفقدت وعيي بسبب تنشّقي الغاز المسيل للدموع... في جادة القصبة في تونس العاصمة، أشخاص من سيدي بوزيد البلدة التي أضرم فيها محمد بوعزيزي النار في نفسه في الرابع من كانون الثاني/يناير فأطلق شرارة الثورة، تدفقوا بالمئات بغية الانضمام إلى المتظاهرين في العاصمة. أتى البعض منهم مع زوجاتهم وأولادهم. شعروا بلسعة البرد والجوع وأحسّوا بالمعاناة. جلبت لهم الطعام والبطانيات بمساعدة الكشافة كما أنني عاونت رئيس الأطباء في القسم الطبي التابع للكشافة.

شكّل الصراخ أهم نشاطاتي فقد صرخت «**إرحل**» بكل جوارحي لأيام إلى أن رحل بن علي. أردت وضع حدّ لنظام جعل من الشباب الفريسة الأطرى عوداً.

بدلاً من أن نشكّل محرّك الاقتصاد الوطني أمسينا كبش محرقته ممّا يفسّر كوننا نحن الشباب روّاد حركة التمرّد. ففي حقيقة الحال كنّا عالقين بين المطرقة والسندان. فمن جهة تلقينا تعليماً ذا مستوى يُعتبر من الأفضل في القارة الإفريقية لكنه لا يتماشى في الواقع مع حاجات سوق يتطور بشكل دائم، ومن جهة أخرى، لم يسمح لنا النظام بالوصول إلى وظائف والاحتفاظ بها. إنّ التدريب المستديم الذي يسهم بتحديث معارف الموظفين غير متوفر في تونس. في مجال المعلوماتية على سبيل المثال، عندما تتغير التكنولوجيات تبدّل المؤسسات مهندسيها وتقنييها! عدم ثبات الوظائف آفة خطيرة بقدر استحالة إيجاد الوظائف بالنسبة إلى حَمَلة الشهادات من الشباب. أتساءل ما إذا كان هناك عائلة بالبلد لا تضمّ على الأقل شابا أو شابة من أصحاب الشهادات يعجز عن إيجاد عمل.

باختصار، إنّ نظام التعليم غير المستقرّ والسياسة الاقتصادية الازدرائية إلى حدّ كبير جعلا منّا شباباً يشعر بالاشمئزاز والاستغلال والاختناق. شكّلت أولى حركات التمرد التي قمنا بها أفعال صمود مع العلم أنّ أعمالنا المستقبلية ستندرج ضمن مسيرة بناء بلد جديد. ■

آمنة فيتوري، تونسية عمرها ٢١ سنة طالبة في السنة الثانية بقسم دراسة اللغة الفرنسية في المعهد التحضيري للدراسات الأدبية والعلوم الإنسانية بتونس بالإضافة إلى كونها رئيسة كشافة حمام الأنف وهي ضاحية جنوبية في مدينة تونس.

© مونيا جريبي

صوت الشعب. تونس في السابع والعشرين من كانون الثاني/يناير سنة 2011

© حميد الدين بو علي

ثورة متنقلة

الفتاة المصرية المناضلة جيجي ابراهيم، بنت الـ٢٤ سنة، أثناء الانتفاضة المصرية في عام ٢٠١١.
© الجزيرة الانجليزية

في خضمّ الثورة المصرية، ثورة كانون الثاني/يناير 2011، قامت فتاة بحشد الجماهير عبر فيسبوك وتويتر، ونقل الأخبار الى متصفّحي الإنترنت في العالم، وتنظيم تجمعات في الشوارع، واعداد يافطات ... وكان هاتفها المتنقل في متناول اليد بصورة مستمرة. إنها جيجي ابراهيم، فتاة في الـ24، تجسّد مثال الثائرة العربية في "جيل التكنولوجيا المتقدمة". إذ إنه، على الرغم من عدم توفّر حاسوب في المنزل لكل من مواطنيها الذين نزلوا إلى الشوارع، وما أبعد توفير ذلك عن التحقق، أدّت وسائط الإعلام الاجتماعية دورا حاسما في تنظيم هذه اللحظة التاريخية التي تفعل فعلها حاليا في تغيير وجه العالم، وليس فقط وجه العالم العربي.

جيجي ابراهيم تجيب عن اسئلة خالد أبو حِجله

بين عامي ٢٠٠٠ و٢٠٠٨ كنتِ تعيشين في الولايات المتحدة الأمريكية. وعُدتِ إلى مصر في سن الـ٢٢، وانخرطتِ في المضمار الاجتماعي السياسي. هل كنتِ مناضلة في الولايات المتحدة الأمريكية أيضا؟

نعم، كنت في الولايات المتحدة مناضلة على الصعيد المحلي، بصورة رئيسية، ضد قوانين الهجرة الوافدة، بين أمور أخرى. وانخرطتُ في فريق الدفاع عن حقوق المهاجرين المتخفّين، إزاء الضغوط التي كانت تمارسها الشرطة من أجل اعتماد قوانين أساسها تمييزي. وناصرتُ القضية الفلسطينية بقوّة. وكلما قام في أي مكان مظاهرة أو نداء ضد الحرب، سأكون بالتأكيد من الملبّين الداعمين.

لكن، وتوخيا لقول الحق، كنتُ بعيدة عن الاهتمام بما يجري في مصر في تلك الفترة، بسبب ندرة زياراتي لها. وإذ كنت أعيش في الخارج من سن ١٤ إلى ٢٢ سنة، ما كنت أعرف أحوال البلد الداخلية بما فيه الكفاية. ما كنت أعرف حركة المعارضة المصرية التي تكتّمت عليها كليا وسائل الإعلام الكبرى. وعليه، فما لم يعش الإنسان داخل البلد وينخرطْ في المعارضة يظل جاهلا بأمر هذه المعارضة. حتى الناس الذين يعيشون على مقربة منها ما كانوا يسمعون حديثا عنها. ما كان أحد يدري بما يجري إلا المناضلون القريبون والصحافة والطبقة السياسية.

حصل أول اتصال لي مع المناضلين المصريين عند عودتي من الولايات

يمكنكم متابعة جيجي ابراهيم على الموقع التالي:
http://twitter.com/Gsquare86

المتحدة، في عام ٢٠٠٨. فالتحقت حينئذ في دورة تثقيفية عن التعبئة الاجتماعية في ظل نظام تسلّطي، وذلك في الجامعة الأمريكية بالقاهرة. وبدأتُ دراستي في العلوم السياسية، وشاركت في مظاهرات عامي ٢٠٠٩ و ٢٠١٠، والتقيت بمناضلين عديدين أثناءها. فكانت تلك بداية نضالي داخل مجموعة الاشتراكيين الثوريين.

© حسام الحملاوي

أصبح الهاتف المحمول وسيلة أساسية للنضال في سبيل الديمقراطية في مصر

ما كانت مشاركتُكِ في المسيرة الكبرى، مسيرة ٢٥ كانون الثاني/يناير ٢٠١١؟

كنتُ شريكة في المجموعات السياسية التي دعت إلى تجمع الـ٢٥ من كانون الثاني/يناير. اتفقنا على الساعة والمكان ومضمون المطالب. وبالواقع كان مطلبنا الرئيسي هو توقيف حبيب العادلي، وزير الداخلية. كنا نصرّ على هذا المطلب منذ أن قضى مدون الإنترنت خالد سعيد تحت التعذيب، في ٦ حزيران/يونيو ٢٠١٠. وكنا نصرّ أيضا على مطلب حل البرلمان الذي انتُخِب أواخر عام ٢٠١٠، ونطالب بحد أدنى للأجور. وكان الخروج إلى الشارع طريقتنا في حمل هذه المطالب إلى الجبهة الشعبية.

بعد الانتفاضة التونسية، بدأت الشعوب العربية تقتنع بقدرة الشارع، وبإمكان قيام ثورة سلمية. وهذا هو المسعى الذي سعيناه أيضا، أي: تحويل حركة اجتماعية يقوم بها شباب ومجموعات سياسية إلى حركة شعبية حقيقية، مطالبها سياسية واقتصادية في آن معا.

بدأت حركتنا بمائة، وإذا بنا ألوف وألوف نهتف بشعارات معادية للنظام. وما كان السيل يتوقف: أمواج من الناس أكبر فأكبر تتدفق على ميدان التحرير، مركز المدينة. وحين وصلنا إلى المكان بدأنا نهتف نفس هتافات التونسيين: الشعب يريد إسقاط النظام! ما كان سقوطه متوقّعا بالضرورة، ومع ذلك كنا نأمل أن يحصل.

كنا أحيانا نسترسل في المزاح: «إيه، تُصنع ثورة على الفيسبوك!» وما كان أحد يتصوّر أن تنقلب الأمور على نحو ما انقلبت عليها. يا للسعادة: إذ كان الناس قد ملّوا، وكان الجور من الشدة بحيث صاروا مستعدين لفعل أي شيء للحصول على الحرية.

أي دور اضطلعت به في تلك الأحداث المصرية وسائط الإعلام الاجتماعية والصحافة المواطنية التي بأيدي الشباب ؟

قبل الأحداث، اضطلعت الشبكات الاجتماعية بدور ريادي. طبعا لم تصنع هي الثورة، ولكن بفضلها استطعنا التواصل.

حين يعيش المرء في ظل نظام تسلّطي، تكون كل معلومة تُنقَل، وكل صحيفة، وكل وسيطة اتصال ذات أهمية كبرى. وعندئذ تصير الصحافة المواطنية نشاطا نضاليا. نعم، كان إخراج الحقيقة إلى النور، ونشر المعلومات عن أمور تسعى الدولة إلى التعتيم عليها، عملا أساسيا.

قبل الثورة، قامت وسيلتنا الوحيدة على إظهار وشرح ما كان يجري على أرض الواقع. كثير من الناس ما كانوا يعلمون بشيء عما يجري من مظاهرات وإضرابات. ولم يتسنَّ إعلامهم إلا بفضل الشبكات الاجتماعية، ووسائل الإعلام المستقلة، والصحافة الدولية، مثل الجزيرة. وإنما كان بفضل هذه الوسائط أن أمكن التنديد بحالات التعذيب في مخافر الشرطة. وكثير من هذه الحالات صُوِّر فيديويا بواسطة الهواتف المحمولة. كل هذه التجاوزات أُخرجت إلى وضح النهار، بفضل وسائط، مثل فليكّر وفيسبوك وتويتّر، كانت في مأمن من الرقابة، وظلّت في مأمن إلى أن بدأت الحكومة تمنع النفاذ إليها.

ولْيكُن معلوما أن الناس الذين نزلوا إلى الشارع، الذين صنعوا الثورة، لم يكن لديهم جميعا امكانية النفاذ إلى أدوات مثل فيسبوك أو تويتّر، ولا حتى إلى حاسوب. لقد خرجوا إلى الشارع وجازفوا بحياتهم من أجل الحصول على خدمات صحية حقيقية، ونظام تعليمي جدير بهذا الاسم، لكي يكون مستقبل أبنائهم أفضل. ولكن، حتى وإن يكن هؤلاء الثوار يجهلون أدوات المعلوماتية، فإن الشبكات الاجتماعية لعبت دورا جوهريا في نقل المعلومات واستنفار الجماهير.

ألا ترَيْن، بوصفك امرأة عربية، أن مشاركة المصريات في انتفاضة ٢٥ كانون الثاني/يناير قد فتحت ثغرة في التقاليد؟

لا أوافق على هذا الرأي! فالنساء كُنّ دوما شريكات في جميع حالات النفير وجميع الثورات، في الشرق الأوسط كما في مناطق أخرى من العالم.

وهذه المرة، في مصر، قُمنَ بإضراب، وهتفنَ بشعارات، وتظاهرنَ، وتعرّضنَ للاعتقال والتعذيب. وفيما عِشتُه من الانتفاضة المصرية، لم أجد فرق البتة بين الرجال والنساء.

طبعا، تناضل النساء من أجل حقوقهن بوصفهن نساء. وفي هذا السياق يُردّ عليهن بأن الوقت ليس مناسبا. ولكن، متى يأتي الوقت المناسب؟* والمسألة ليست خاصة بالشرق الأوسط: فالنساء يناضلن من أجل حقوقهن أيضا في الولايات المتحدة، والمملكة المتحدة، وكل مكان من العالم.

هل تعتقدين أنه يمكن لشباب آخرين استلهام هذا النموذج الشعبي، السلمي، من أجل إحداث تغيير في بلدان أخرى؟

لقد شهدنا حركات شبابية مماثلة، لا في منطقتنا وحسب بل أيضا في أماكن أخرى. ففي ٢٦ آذار/مارس الأخير، قامت في لندن مظاهرات حاشدة. وكانت تحمل يافطات وشعارات شبيهة بما شوهد عند المصريين. والعالم العربي يوصف وصفا مُقَوْلبا بأنه منطقة رجعية عنيفة، وبؤرة للإرهاب. لكنه هذه المرة يعطي القدوة في ديمقراطية مبنية على القاعدة الشعبية، وتغييرات أتت بها حركة جماهيرية سلمية. ■

* في هذا الصدد، يُنصح بقراءة مقالنا بعنوان «Maintenant ou jamais» (الآن وإلا أبدا)، عن تظاهرات الإيطاليات التي جرت في ١٣ شباط/فبراير ٢٠١١، مقال صدر في عدد نيسان/أبريل-حزيران/يونيو ٢٠١١ وموضوعه «سعي النساء إلى كسب مساحات جديدة من الحرية».

ربيع الساخطين

منذ الـ ١٥ من أيار/مايو، تعيش إسبانيا في أجواء من التظاهرات والاحتجاجات فاجأ قسما كبيرا من الرأي العام العالمي. إزاء «حركة ١٥-مايو» هذه – أو بعبارة أبسط، إزاء هؤلاء «الساخطين» – يقف المرء حائرا: ما تراهم يريدون؟ أفليست إسبانيا بلدا متقدما وديمقراطيا، ولا وجه لمقارنتها بتونس أو بمصر؟ إلا أن من يُمعن النظر يدرك أن عددا من الإسبان يرون أنهم لا يتوصّلون إلى إسماع صوتهم، وأن النظام القائم يرفض بكل بساطة أن يكون لهم مستقبل. فمن أجل هذا المستقبل قرر الشباب أن يناضلوا.

ألفريدو اتْروخيّو فِرناندِيز

اندلع الاحتجاج عفويا. «ولم يكن أحد يلاحظ أن شيئا ما سيحدث»، على حد قول الكْريستوبال راميريز، الصحافي المدريدي البالغ ٢٧ من العمر، والقاديسي المولد. انطلقت الأمور كلها في ١٥ أيار/مايو، من تظاهرة نُظّمت في مدريد بدعوة من جماعة Democracia Real Ya (ديمقراطية حقيقية الآن) وجماعة Jovenes Sin Futuro (شبيبة بلا مستقبل). وبعدئذ نُصِبت خيم، وانتشر المنظر في طول البلاد وعرضها. ومع مرور الأيام، شهد المتظاهرون، وقد أُطلقت عليهم تسمية «الساخطين»، حشدهم المكوّن أصلا من الشبيبة ترفده أعداد كبيرة من محالين على المعاش، وعاملين على اختلاف فئاتهم، ومدبِّرات منازل، وجدود ساحبين باليد أحفادهم، وأُسر تعج بالأطفال.

وهذا السخط هو، بداهةً، مجرّد نتيجة للأزمة الاقتصادية الخطيرة التي تنتاب البلاد. ففي إسبانيا فاقت نسبة البطالة نظيراتها في أوربا الغربية، إذ بلغت ٢٠,٦٪ في الفصل الأول من عام ٢٠١١. وبلغت بين الشبيبة ذروتها، إذ قدرت بنحو ٤٤,٣٪ . هذا بعد أن كانت البلاد في عام ٢٠٠٧، قبل

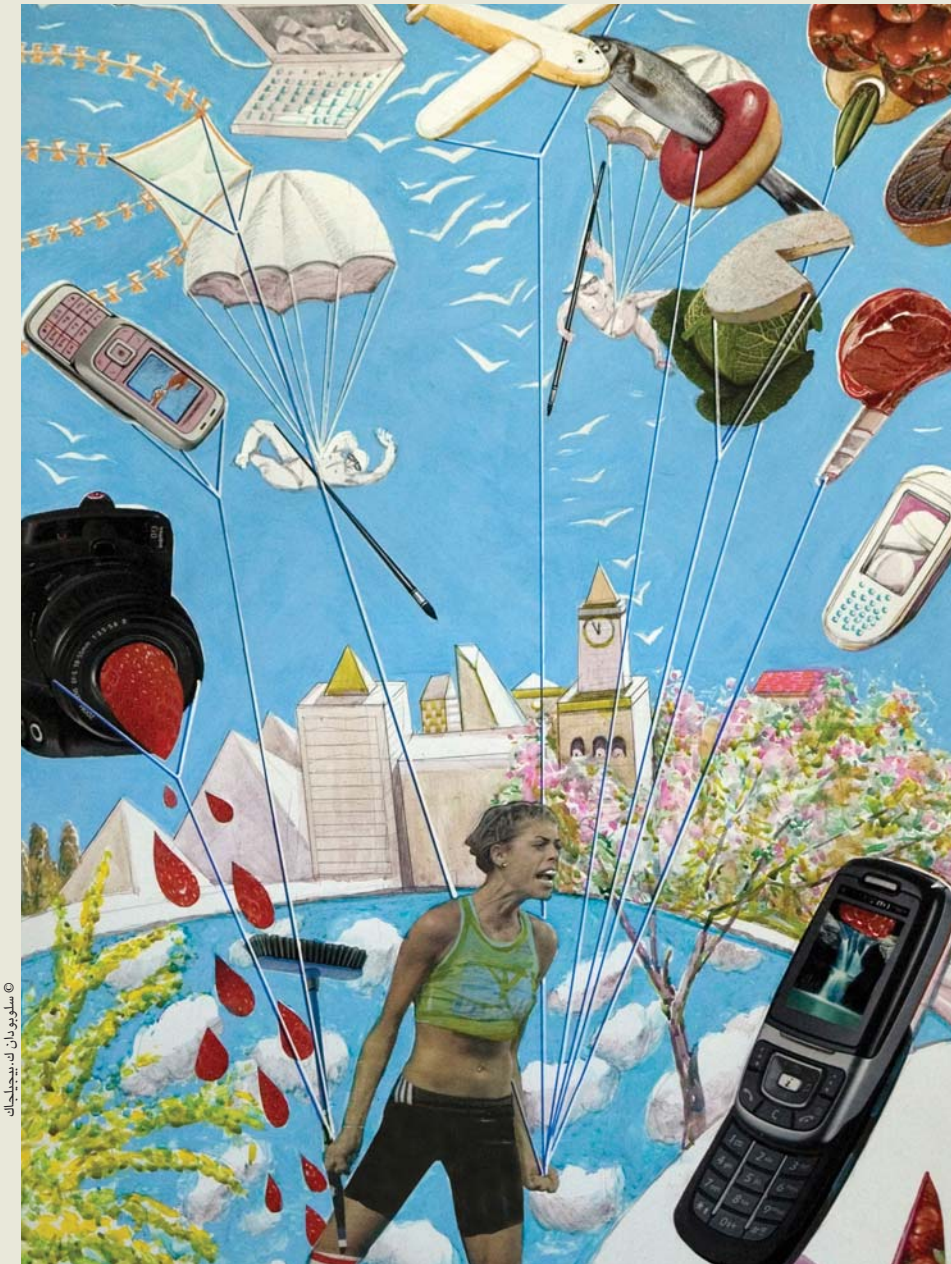

© سلوبودان ك. بيجيلجاك

«الربيع»، ملصقة، ٢٠١١ . لوحة للفنان سلوبودان ك. بيجيلجاك، رسام فرنسي من البوسنة والهرسك، أعده خصيصا لهذه الطبعة من رسالة اليونسكو.
لزيارة موقع الفنان على الانترنت:
http://bijeljac2.free.fr/

الأزمة، لا تتجاوز فيها نسبة العاطلين عن العمل ٨,٣٪ من السكان.

غير أنه لوحظ، أثناء سنوات الازدهار الاقتصادي، بعض بوادر استعصاء في الأداء. ففي آب/أغسطس ٢٠٠٥، كتبت فتاة برشلونية إلى المدير المعني رسالة نُشِرت في جريدة إل بائيس، ابتكرت فيها كلمة ميلّيوريست (زبون الألف يورو)، ووصفت حالة الشاب الإسباني – المدرّع بالشهادات، المتعدد اللغات، الحامل على العموم شهادة ماجستير، الذي يكاد لا يكسب في الشهر ألف يورو – ووصفت صمةَ جيل بأسره، مؤهّل تأهيلا غير مسبوق، شاعر مع ذلك بأنه مغبون في سوق العمل، وأن النظام يتجاهله.

وفي السياسة، اتّسمت السنوات الأخيرة، قبل أزمة عام ٢٠٠٨ وبعدها، بحالات فساد ثبتت فيها مشاركة ممثلين عن أحزاب أغلبية؛ ولكن نَدر أن مثَلَ أحد منهم أمام العدالة. فلا عجب إذن من أنه، في تحقيق أجراه مركز البحوث الاجتماعية عام ٢٠٠٩، وُجد ستة من كل عشرة إسبان يعتبرون الفساد ظاهرة منتشرة إلى حد ما أو واسعة الانتشار، على كلا المستويين الاتحادي والمحلي؛ وأن أغلبية السكان أقرّوا، في نفس الدراسة، بعدم ثقتهم بالطبقة السياسية وبالنظام.

أزمة اقتصادية، وفساد سياسي، وفقدان الثقة بالنظام الديمقراطي: تلك هي العوامل الرئيسية التي أنضجت طفرة دفعت بعشرات الألوف من الـ indignados (الساخطين) إلى شوارع البلاد.

وأخيرا، أفاقت بلادي من سُباتها

في ١٥ أيار/مايو، علمت مريم ابْلانكو، مدريدية في الثلاثين من العمر، أن أول احتجاج يعتصم في ساحة بويرتا دِل سول، فقالت: «وأخيرا، أفاقت بلادي من سباتها!». ومريم هذه المتعددة الشهادات، المتقنة لأربع لغات، انخرطت منذ الأيام الأولى في عضوية اللجان التي نشأت. وفي محاولة منها لبيان أسباب السخط، قالت بحدّة: «قيل لنا: أنتم المستقبل. ولكننا لسنا المستقبل، بل ولسنا الحاضر أيضا». وأردفت: «لم نعد نخاف، لم يبقَ لنا شيء نخسره، كيف وليس لنا مستقبل ولا لأبنائنا».

«أصبح الناس منهوكين نافدي الصبر»، كما يلاحظ اكْريستوبال الذي انضم عدة مرات خلال الأسابيع الأخيرة إلى تجمعات الساخطين في بويرتا دِل سول. ويقول هذا الصحافي المستقل مستخلصا مداخلته: «نريد غير هذا النظام، نظاما تُستمَد فيه السلطة من المواطنين، ديمقراطية حقيقية، أكثر تشاركية». وأوليفيا واترز، إنجليزية في الـ٢٧ تعيش منذ خمس سنوات في العاصمة، وتجوب كل يوم غابة الخِيَم والشوادر التي نمت في قلب هذه المدينة، تضيف قائلة: «يصدمني أن أرى إلى أي درجة يتعذّر على مواطني هذه البلاد أن يُسمِعوا صوتهم. ففي نظري، إنهم يريدون فقط أن يُصغى إليهم، وأن يَلقَوا الاعتبار...»

وفيتور بيتِيادو، أخصائي علوم سياسية في الـ٣٢ من العمر وأصله من كورونيا، يرى في موجة الغضب هذه «رد فعل ساخط إزاء أزمة ليس العاملون بمسؤولين عنها قط، في حين أنهم، ومن غريب الأمور، هم الذين يتحمّلون عواقبها». وفيتور هذا الذي اضطُر في السنتين الأخيرتين، مثل مئات الشبان الإسبان الآخرين، إلى السفر إلى الخارج، سعيا وراء فرص عمل وأجور أفضل لا توفِّرها له بلاده، يعرب عن فرحه بما يجري قائلا: «لأول مرة يفطن الناس إلى أن المشكلة تكمن في النظام عينه، وأن هذه الديمقراطية التي تدعوك إلى صناديق الاقتراع كل أربع سنوات، شأنها شأن النظام الاقتصادي، لا تسير كما ينبغي».

وتشدد مريم هي أيضا على أن الأمر يتعلق بتحقيق «مشاركة أفضل من جانب المواطنين، مشاركة يمكن تشجيعها بفضل التكنولوجيات الجديدة». وفي كل مكان، في الاجتماعات والمناقشات التي تُنظَّم، يتردد القول أيضا أنه يجب على المسؤولين السياسيين أن يمثّلوا مصالح المواطنين، لا مصالح البنوك والشركات الكبرى. وعلى كل حال، جعلت حركة الاحتجاج عنوان شرف لها أن تهمِّش الأحزاب والنقابات التقليدية، معزِّزة طابعها الشعبي، المواطني، وبمعنى ما «المضاد للنظام».

> *«إنها أول مرة في غضون نصف قرن تقريبا، تُشهد حركة جماهيرية بهذه الضخامة تشكك في شرعية الديمقراطية الليبرالية، القائمة على الأحزاب».*

في المستقبَل الخبر الصحيح

ولكن ليس من صياغة واضحة، لا لأهداف الحركة، ولا للوسائل المتوخّى إعمالها لتحقيق هذه الأهداف. وذلك يعود، في نظر مريم، إلى أن العملية لا تزال في طور جنيني. «إن مسألة الوسائل في مرحلة التكوّن. نحن الآن في طور الإدراك أنه يجب تغيير الأمور، طور التفكير. فعبر الكلام، ومن خلال النقاش، سنتوصّل إلى تقرير ما يجب عمله»، كما شرحت هذه الفتاة. ويرى اكْريستوبال أن الأمر يتعلق بتغيير نظام، هو في الوقت الحاضر «متقاعس عن معالجة مصاعب أضعفِ الناس حالا». أما فيتور فيعترف أن كثيرا من الأفكار لا يزال «مغرقا في التعميم»، وأن المطالب «غامضة» حتى الآن. لكنه يضيف: «إنها أول مرة في غضون نصف قرن تقريبا، نشهد حركة جماهيرية بهذه الضخامة تشكك في شرعية الديمقراطية الليبرالية، القائمة على الأحزاب». وترى أوليفيا أن غياب التحديد والوضوح هو انعكاس للأزمة نفسها ولضخامة المشكلة التي تواجهها إسبانيا، واختتمت حديثها بالقول: «إن المشكلات الواجب حلها كثيرة جدا حتى بات لا يُعرف من أين يُبدأ العمل».

ومن الممكن، بمعنى ما، أن يكون هذا الافتقار إلى التحديد هو الصيغة الأولية لحركة تحمل أهدافا واضحة وخريطة طريق بيّنة الخطوط. ومن يدري، قد تكون هذه الحركة مثالا يقتدي به ساخطون آخرون ركّعتهم الأزمة في بلدان أوربية أخرى ، اقتداء لا يقل زخما ديمقراطيا عمّا يُشهد في إسبانيا. ولكن، إذا ما انخمد اندفاع الأسابيع الأولى، فقد تتحلل حركة ١٥-مايو في رمال التاريخ، فتمضي إلى زيادة في عدد النوادر التي تُحكى عن ربيع ٢٠١١ هذا، ربيع الأمل والسخط. ■

© اليونسكو/أنيا فريندورف

ألفريدو اتْروخيّو فرنانديز، صحفي اسباني، ٣١ سنة ويعمل حاليا ضمن فريق تحرير الانترنت

كان يا ما كان الشباب...

بعد انقضاء عام على أحداث «أيار/مايو ٦٨»، كرست مجلة رسالة اليونسكو عدداً خاصاً للشباب تحت عنوان: «شباب ١٩٦٩»*، موزعاً على عدة محاور منها محور بعنوان «الشباب الغاضب»، وآخر عن «الجيل الرافض والمتحمس»، ومحور ثالث يتناول «أزمة الشباب في أنحاء مختلفة من العالم». ويُلاحظ أن «الفورات المفاجئة لشباب عام ١٩٦٨ الرافض تشبه في نواح عديدة تلك التي قام بها شباب «الربيع العربي» ٢٠١١. وفي هذه المقتطفات من مقالة «مواجهات مع المجتمع» ما يدل على ذلك.

Photo © Snark International - Grazia Neri

«لقد طلبنا الإصغاء إلينا، ولكنكم رفضتم ذلك.
وطالبنا بالعدالة، فسميتم ذلك فوضى.
وطالبنا بالحرية، فسميتم ذلك انحلالاً».

(voir page 15)

© اليونسكو

يظهر هذا المقتطف من عدد «شباب ١٩٦٩» على الغلاف الخلفي لذلك العدد، وإننا نعيد نسخه هنا. غلاف رسالة اليونسكو، شباب ١٩٦٩، ظهر في نيسان/أبريل من نفس العام.

«إن حاجة الشباب إلى أجوبة شافية وحقائق وقيم مطلقة ما عادت تتلاءم مع حالة الظلم والفوضى في العالم.»
رينيه ماهو،
مدير عام سابق لليونسكو

«إن العقدة الأساسية لحالة الصراع الناجم عن تبلور الشباب كجماعة منظمة ومتميزة تكمن على ما يبدو في رغبة الشباب في الحصول على المكانة والاعتبار اللذين يرون أن لهم الحق فيهما داخل المجتمع.»

«يبدو أن الشباب، الذين أتاحت لهم وسائل الاتصال الحديثة التعرّف على مختلف الثقافات دونما اعتبار للحدود، أقاموا على الصعيد العالمي نوعاً من الثقافة العالمية التي تتميز بطابعها الشبابي.»

«أعرب الشباب في ثورتهم المعلنة، بشكل أو آخر، عن رفضهم لسياسة الفصل العنصري، ونهضوا ضد الامتثالية الاجتماعية، ونددوا بأسطورتي «الإنتاج من أجل الإنتاج» و«الاستهلاك من أجل الاستهلاك.»

«إنهم يريدون علاقات إنسانية أكثر صدقاً، وأقل قيوداً، وأكثر أخوية من تلك التي نقدمها لهم. إنهم يخشون من أن يشتمل النظام الوطني والدولي الذي يتم دفعهم إلى الانخراط فيه على حالات خطيرة من الظلم لا ينوون التواطؤ معها.»

* هذا العدد متاح في محفوظاتنا باللغات الإنجليزية والفرنسية والإسبانية: www/unesco.org/courier

ينبغي للشباب التشيكي أن يكون لهم رأي

ماثيو بونار

«كيسيجمي دو توهو !» (فلنتدخل فيما يخصنا من أمور !) هو مشروع أطلقه ثلاثة شبان تشيكيون . ويتمثل الهدف الذي يسعون إلى تحقيقه في تمكين مواطنيهم ممن تتراوح أعمارهم بين ١٦ و٢٦ سنة من التعبير عن وجهة نظرهم فيما يتعلق بالقضايا التي تعنيهم على نحو مباشر. فالأمر يتعلق إذن بتهيئة مختبر للأفكار وبإنجاز تقدم ديمقراطي حقيقي للشباب التشيكي.

جان وجانا وجيركا هم شبان يبلغون من العمر نحو عشرين سنة، كان لهم دور فعال في إطار منظمات غير حكومية تشيكية معنية بقضايا الشباب. وقد تمكنوا من أن يكون لهم صوت مسموع فيما يتعلق بمواضيع مختلفة، سواء داخل المنظمات التي انضموا إليها، أو في المدن التي يسكنون فيها، أوحتى على المستوى الأوروبي. ولكنهم سرعان ما اصطدموا بالأمر الواقع الذي تمثل في أنه كان من شبه المستحيل أن يقوموا بأنشطة على الصعيد الوطني ! وفي هذا الصدد، فإن جان هوساك، البالغ من العمر ٢٣ سنة، والذي يدرس مادة الشؤون الأوروبية في أحد معاهد مدينة «برنو»، ثاني أهم مدينة في البلاد، ومنسق المشروع الذي انطلق عام ٢٠١٠، يقول: «لقد تقرر، تبعاً لذلك، السعي لتغيير الأمور». ويضيف أنه: «حتى ذلك الحين، كان بمقدور الأعضاء النشيطين في إحدى المؤسسات، مثل البرلمان الوطني للأطفال والشباب – أي صغار السن الذين انخرطوا فعلاً في الحياة الديمقراطية – إبداء رأيهم، دون غيرهم»، وهو الأمر الذي كان من شأنه أن تخلف الشباب الآخرون جميعهم عن الركب في المسيرة نحو تحقيق طموحاتهم.

وصحيح أن الشباب التشيكي لا يواجه نفس المشكلات التي يواجهها بلد مثل أوغندا، ولكن لا يعني ذلك أن هؤلاء الشباب هم بمأمن من شتى أشكال التمييز. وفي هذا الصدد، يقول جان: «لقد شهدنا عدداً من التجارب القاسية... منها أن شباباً قاموا بتوزيع عريضة وتظاهروا ضد قرار يخصهم على نحو مباشر، ألا وهو تجديد شهادة البكالوريا الوطنية. وعلى الرغم من أن مشاركة الشباب إنما تُعتبر إحدى الأولويات التي ترتكز عليها السياسات المتعلقة بالشباب في الجمهورية التشيكية، فإن الطبقة السياسية لم تهتم حتى باستلام هذه العريضة !، ودفعني ذلك إلى أن أقول إن ثمة شيء ما متعفن، لا في مملكة الدنمرك، كما جاء في تعبير شكسبير، ولكن في الجمهورية التشيكية !». ولقد مثّل هذا الحدث انطلاق مشروع « فلنتدخل فيما يخصنا من أمور !»، وهو المشروع الذي أراد مبدعوه أن يبينوا أن في مقدور الطبقة السياسية، ومن واجبها، أن تقبل رأي الشباب على المستوى الوطني، وذلك بطريقة مهذبة، وبتوافق تام مع المبادئ الديمقراطية.

ومنذ ذلك الحين، طُلب من الشباب التشيكي أن يعبّروا عن رأيهم بشأن مواضيع تتعلق بسنهم ومشكلاتهم وطموحاتهم التي تتمثل في الحصول على تمويل للدراسات العليا وممارسة حق التصويت في سن ١٦ عاماً، ومواجهة أعمال العنف والسخرية التي يتعرض لها الطلاب الجدد أثناء استقبالهم، والتصدي للابتزاز في المدرسة، وإباحة تعاطي أنواع من المخدرات المستخرجة من القنب، والتربية الجنسية، وعمالة الشباب، وغير ذلك من الأمور مثل «دُور الأطفال» المثيرة للجدل. وفيما يخص هذه الدُّور التي أقامتها مؤسسة الأطفال المتروكين «ستاتيم»، ابتداءً من عام ٢٠٠٥، في مناطق مختلفة في جميع أنحاء البلاد، فإنها تتيح للأمهات اللاتي يتعرضن لظروف صعبة أن يتركن أطفالهن حديثي المولد في أمان تام وبعيداً عن النظرات الفضولية.

أما فيما يتعلق بالشبكات الاجتماعية، مثل «فيسبوك» و«تويتر» وبشبكات الإنترنت بصفة عامة، فإنها تمثل، كما هو الحال في كل مكان، قنوات للحشد وحرية التعبير لهؤلاء الشباب والطلاب والعاطلين عن العمل والأجراء.

كيف يُطبَّق هذا المشروع؟

الواقع أن الشباب يقومون بالتصويت، أولاً، على موضوع من المواضيع المطروحة، وذلك عن طريق الإنترنت والشبكات الاجتماعية. وفي إطار مشروع «فلنتدخل فيما يخصنا من أمور !»، يتم بعد ذلك تحليل الحجج «المؤيدة» والحجج «المعارضة» وتجميع المعلومات التي ستشكل انطلاق المناقشات التي تجري في نطاق حلقات عمل عامة يتم تنظيمها في شتى أنحاء البلاد.

وفي مرحلة ثانية، يكتفي المنظمون بتيسير إجراء نقاش من أجل اتخاذ موقف مشترك. وعبر مشروع «فلنتدخل فيما يخصنا من أمور!»، يُطلب أيضاً من شبان متطوعين أن يقوموا بتنظيم حلقات العمل أو مجموعات

© www.youthweek.eu

النقاش، سواء في قاعات الدرس، أو في النوادي التي يرتادونها، أو ربما اكتفوا بمقهى.

أما المرحلة الثالثة فإنها تتمثل في إجراء مناقشة عامة يشترك فيها الشباب المعنيون والسياسيون من الرجال والنساء المهتمين بهذه الأمور، بالإضافة إلى مدير مدرسة ثانوية. وبعد المناقشات التي يجريها الشباب مع هؤلاء الخبراء، يكون بمقدورهم اتخاذ

«من المهم أيضاً البرهنة على أن بلادنا تتمتع بنظام ديمقراطي، وأنه إذا ما أنجزنا شيئاً ما، فمن الممكن أن ينجم عنه نتائج»

موقف مشترك يتم طرحه للتصويت عن طريق شبكة الإنترنت.

وأخيراً، يتم في المرحلة الثالثة تقديم نتائج التصويت إلى وسائل الإعلام، وإلى الطبقة السياسية والمتخصصين، وذلك خلال مؤتمر ختامي تُتاح فيه الفرصة من جديد للشباب لمساءلة صانعي القرارات. كما يتم إرسال هذه النتائج إلى الحكومة، وإلى أعضاء مجلسي النواب والشيوخ.

ويقول جان بلهجة قاطعة: «إن موقفي الشخصي بشأن عديد من المواضيع لا يختلف كثيراً عن الموقف المشترك الذي يتم اتخاذه في نهاية المطاف، وهو الموقف الذي غالباً ما يتسم بقدر كافٍ من الشمول. غير أني أود، في

➲ *ملصق الأسبوع الأوربي للشباب الذي عقد في ١٥-٢١ أيار/مايو ٢٠١١.*

بعض الأحيان، تغيير الموقف الذي توافقنا عليه إلى حد ما ليتماشى مع هذا الاتجاه أو ذاك... ولكني أدرك أن في ذلك مساساً بالديمقراطية التي تحتم قبول التوافق. وفيما يخصني، فإني أعتبر منظمتنا بمثابة مدرسة جيدة لتعليم الديمقراطية وابتداع توافق الآراء ومسيرته اللاحقة. غير أننا ما زلنا في مرحلة اكتساب الخبرات ! وقد التزمت في بادىء الأمر بنظرية كان لها مصداقية... وأردت أن أتحقق من أن هذه النظرية يمكن تطبيقها على أرض الواقع. ومن المهم أيضاً البرهنة على أن بلادنا تتمتع بنظام ديمقراطي، وأنه إذا ما أنجزنا شيئاً ما، فمن الممكن أن ينجم عنه نتائج تتمثل في التثقيف وفي إظهار أمثلة إيجابية تدل على أن ذلك سيكون له جدوى، وأن في استطاعتنا أن نرتقي بمستوى مشاركة الشباب في معالجة مواضيع ذات أبعاد وطنية».

مختبر للديمقراطية

إن مشروع «فلنتدخل فيما يخصنا من أمور !» يتمثل في رابطة مستقلة لا تتلقى أي منح من جهات راعية من القطاع الخاص أو من الدوائر السياسية. وتتبع هذه الرابطة مجموعة من المنظمات غير الحكومية المعنية بقضايا الشباب تُعرَف بالمجلس التشيكي للأطفال والشباب. وقد تلقت هذه الرابطة وعداً من وزارة التربية والشباب والرياضة بأن تتولى إداراتها تحليل النتائج التي تسفر عن المؤتمرات الختامية باعتبارها تقريراً داخلياً بشأن آراء الشباب. وفي هذا الصدد، يقول جان بحماس شديد: «إن ما نريده بالضبط هو أن يكون للشباب المتمسكين بالمبادىء الديمقراطية صوت مسموع وأن يأخذ النظام السياسي الرسمي في الاعتبار الآراء التي يُعبرون عنها، وكذلك وجهات النظر الأخرى».

وجدير بالذكر أن المشروع التشيكي «فلنتدخل فيما يخصنا من أمور !»، الذي يُعتبر بمثابة مختبر للتجارب، يتلقى دعماً من البرنامج الأوروبي «شباب يعمل» ومن ممثلية المفوضية الأوروبية في الجمهورية التشيكية. ويمثل ذلك بعداً أوروبياً لا ينكره منسق المشروع الذي يقول: «إننا نشارك أيضاً في مشروع «حوار منظم مع شباب الاتحاد الأوروبي»، وهو المشروع المعني بعمالة الشباب، والذي يمتد لفترة ١٨ شهراً ترأس خلالها اسبانيا وبلجيكا والمجر الاتحاد الأوروبي على التوالي. ولقد أجرينا مناقشة حول هذا الموضوع وأعددنا مع الوزارة تقريراً سيتم تقديمه إلى الاتحاد الأوروبي. وكان من دواعي الرضا أن معظم النتائج التي أفضت إليها مناقشاتنا تم إدماجها في العملية الأوروبية. وعلى هذا النحو ذاته، فإن النتائج التي نتوصل إليها تتم دراستها الآن في إطار المفوضية الأوروبية والبرلمان الأوروبي والمجلس

© المجلس التشيكي للشباب والطفولة

➲ *جان هوساك، 23 سنة، مؤسس "فلنتدخل فيما يخصنا من أمور"*

الاقتصادي والاجتماعي للأمم المتحدة، وغير ذلك من المنظمات. وكل ذلك إنما يُعتبر أمراً يبعث على الرضا إلى حد بعيد !».

وفي الوقت الراهن، فإن مشروع «فلنتدخل فيما يخصنا من أمور !» هو مشروع فريد من نوعه يجري تنفيذه في بلد استطاع شبابه دوماً أن يتصدى للسلطات القائمة أو أن يسعى إلى تغيير الأوضاع السائدة. وحتى الآن، لم تقيم قيادة هذا المشروع علاقات إلا مع شركاء سلوفاكيين، وذلك لتحديد جوانب للمقارنة مع بلد مجاور. غير أن هذه المبادرة التي لم يسبق لها مثيل، لكونها تخص شباب بلد بأكمله، تستحق أن تكون مثالاً يُحتذى في كل مكان، إذ أنها تتيح لشباب أمة بأجمعه أن يكون له صوت مسموع فيما يخص شتى القضايا التي تعنيه. ■

ماثيو بونار، البالغ من العمر 34 سنة، صحفي فرنسي يقيم حالياً في براغ.

© الحقوق محفوظة

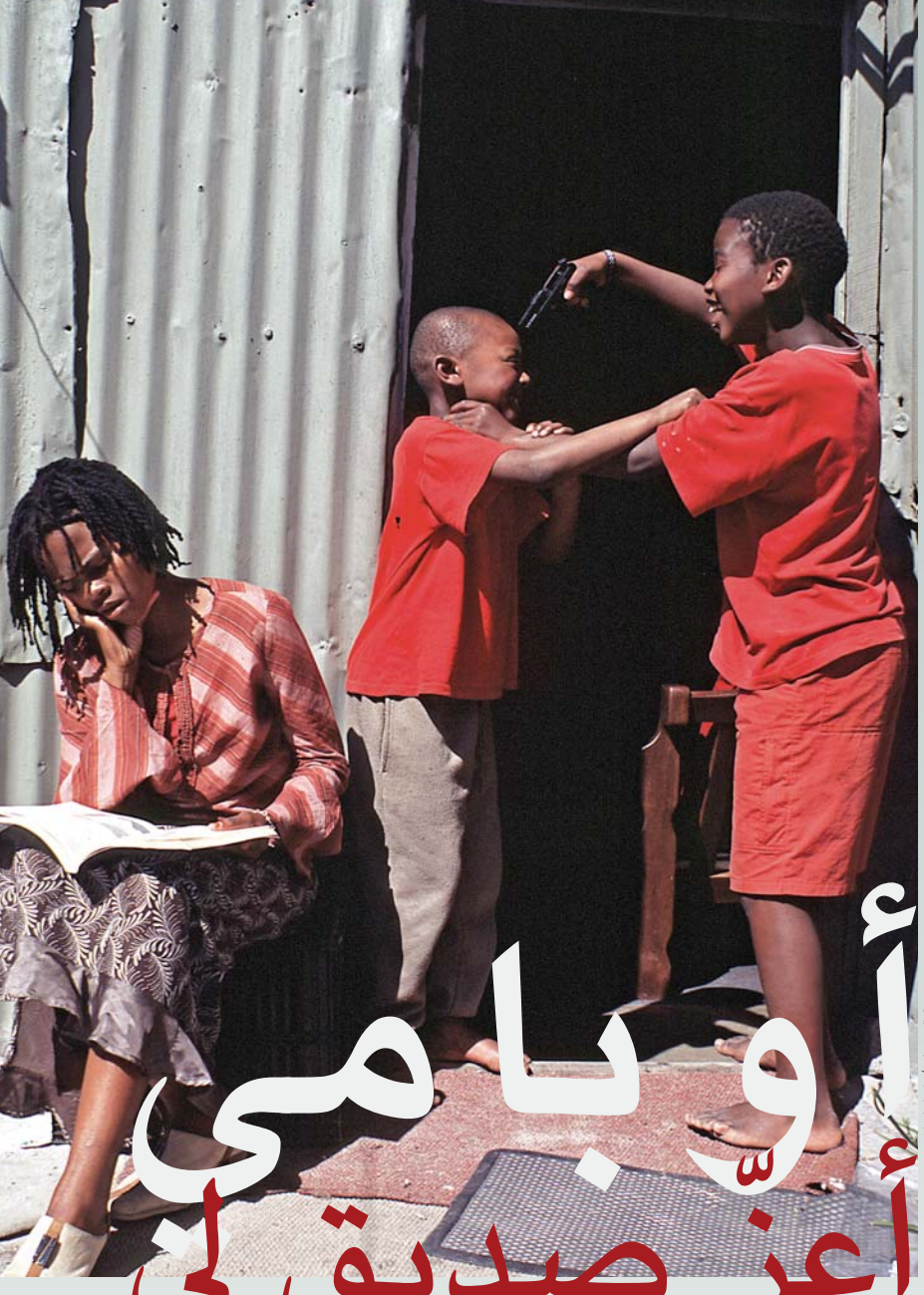

© اليونسكو / داريل ايفانز

أوبامي أعزّ صديق لي

تفتقت قريحة الشابة الجنوب أفريقية باربارا مالينسون، عن فكرة ابتكار «أوبامي» الذي رأى النور في عام ٢٠٠٨، ثم صار صديقاً ممتازاً لتلاميذ مدرسة في جنوب أفريقيا. و«أوبامي»، الذي ليس أبيض أو أسود، هو موقع افتراضي يرمي إلى المساهمة في الانتفاع بتعليم أفضل نوعيةً، وهو ما من شأنه أن يُحسّن نوعية الحياة. وفيما يلي قصة هذا الموقع ترويها من قامت بتصميمه.

باربارا مالينسون

لقد نشأت في ضاحية ميسورة من ضواحي مدينة جوهانسبرغ، حيث حالفني الحظ في الالتحاق بمدرسة خاصة. وقد كنت بمنأى عن الاضطرابات الداخلية التي عمّت جنوب أفريقيا عندما شارفت سياسة التمييز العنصري على الانقضاء، وذلك لكوني تلميذة منتمية إلى الجنس الأبيض وملتحقة بمدرسة خاصة؛ ومع ذلك فقد اعتززت، شأني في ذلك شأن جميع مواطنيّ، بأحداث معينة، منها إطلاق سراح مانديلا من السجن، أو انتخابه رئيساً للبلاد، أو تنظيم كأس العالم لكرة القدم عام ٢٠١٠، وهي أحداث أرست أسس ديمقراطيتنا الفتية وروحنا الوطنية منذ ذلك الحين.

لقد كنت أفكر منذ زمن بعيد في إنشاء شركة خاصة، ولكن «أوبامي» لم ير النور إلا بعد أن حصلت على شهادة الليسانس في التسويق من جامعة الكاب، وقضيت خمس سنوات في لندن للعمل في مجال الشركات. وفي هذه الفترة، أي في عام ٢٠٠٧، اقتصر الأمر على شبكة اجتماعية مفتوحة وعامة؛ ولكن عندما زخرت الأوساط الجامعية بشبكات الفيسبوك، قررت أن أتجه للمدارس، الابتدائية منها والثانوية.

أما الآن، فإن «أوبامي» هو عبارة عن شبكة اجتماعية تربوية توفر للمعلمين والتلاميذ وأولياء الأمور موقعاً إلكترونياً للاتصال والتعلم. ويجمع هذا الموقع بين أدوات الربط الشبكي، المماثلة لشبكات الفيسبوك، وتقنيات تعلم واسعة النطاق، مثل تقنيات نظام Moodle [المتمثل في موقع للتعلم الإلكتروني صادر برخصة الانتفاع المفتوح]، وذلك في بيئة آمنة، لأن هذا الموقع موجه، في جزء كبير منه، إلى الأطفال.

وقد قمت بإعداد هذا الموقع في لندن؛ ولكن عند عودتي إلى البلاد في عام ٢٠٠٨، قررت نقله إلى جنوب أفريقيا، لأني تصورت أنه لو اشتغل الموقع في أفريقيا، فمن الممكن، نظرياً، أن يعمل في أي مكان آخر. وقد يكون له، على وجه الخصوص، أثر اجتماعي حيثما دعت الحاجة إلى ذلك.

إن جنوب أفريقيا، هذا البلد الرائع، الذي نشأ من تمازج متميز لثقافات تتسم بالثراء، ما زال يتعرض لصعوبات اجتماعية سياسية، وذلك رغم مرور ١٧ عاماً على تحقيق الديمقراطية. فمن بين العوامل التي تجعل من جنوب أفريقيا بلداً لا يزال متخلفاً في مجال التعليم انتشار فيروس نقص المناعة البشرية والإيدز، وازدياد معدلات الإجرام، وعدم كفاية البنية الأساسية، إضافة إلى سوء الإدارة؛ يُضاف إلى ذلك أنه في عام ٢٠١٠، لم يلتحق بمرحلة الدراسات العليا سوى ٢٣،٥٪ من خريجي المدارس الثانوية، وهو ما جاء في بيان رسمي صادر في كانون الثاني/ يناير ٢٠١١.

إن مُعامل جيني (Gini) ــ الذي يبلغ في جنوب أفريقيا ٠،٦٨ــ يعد أحد أكثر المُعاملات ارتفاعاً في العالم [نشرت وكالة «بلومبيرغ» هذا الرقم في ٢٥ شباط/ فبراير ٢٠١١]. ولكن عندما يُلاحظ أن هذا المُعامل يمكن أن يتراوح بين ٠ و١، وأن الرقم صفر يعني المساواة التامة في العوائد، فمن الواضح أنه يمثل علامة تشير إلى الخطر الذي تمثله أشكال التفاوت الاجتماعي الشديد التي تعاني منها

فتاة تقوم بانجاز واجباتها المدرسية أمام منزلها في احدى الضواحي بجنوب أفريقيا

البلاد. فهناك زيادة كبيرة في اليد العاملة غير المؤهلة، فيما تشهد البلاد أزمة في المهنيين المؤهلين ـ ولاسيما في قطاعات الطب والهندسة وتكنولوجيا المعلومات، والمالية والتقنيات ـ ويعود ذلك إلى ضعف مستوى تعليم العلوم والرياضيات. ويزداد هذا الوضع تفاقماً جرّاء هجرة الكفاءات الجنوب الأفريقية، وهو ما مثل ظاهرة مستمرة قضت على المهن الحرة خلال السنوات العشرين الأخيرة.

«أوبامي»: طريقة الاستخدام

يتعلق الأمر بمشكلة مثيرة للقلق لا يمكن حلها إلا بمعالجة الأسباب الأساسية لهذه الأوضاع. ومنذ زمن بعيد، رغبت في استخدام «أوبامي» من أجل تحقيق التقدم الاجتماعي، بالاستناد، في البداية، إلى التعليم.

وتحقيقاً لهذا الغرض، فإن «أوبامي» يوفر دعماً في ثلاثة مجالات رئيسية للتعليم، ألا وهي الانتفاع بالموارد، وممارسات التعليم والتعلم، وتقييم الأداء. فمن الممكن للمعلمين أن يصمموا موارد تعليمية لتقاسمها وامتلاكها، وذلك باستخدام تطبيقات الوسائط المتعددة، بينما تقوم الواجهات الواسعة النطاق (مثل تكنولوجيات «أجاكس») ـ الخاصة بالجيل الجديد من مواقع الويب ٢,٠ـ بتيسير التفاعل والتعاون بين جميع الأطراف المعنية، أي المعلمون والتلاميذ وأولياء الأمور، استناداً إلى نموذج المدونات الإلكترونية والوسائط الاجتماعية. كما أن هذا النظام يشمل تطبيقاً يتيح إجراء تقييم مستمر لأداء التلاميذ.

لقد بذلت جهوداً كبيرة من أجل أن تنتفع المدارس مجاناً بموقع «أوبامي»، وذلك لكي يحق لكل تلميذ، أيّاً كان الوضع المالي لأسرته، الانتفاع، عن طريق هذه الشبكة، بتعليم جيد النوعية. أما تكاليف هذا الموقع فهي تعتمد في الوقت الراهن على أموال خاصة؛ وبالإضافة إلى ذلك فقد حظيت بمساعدة قيّمة تمثلت في الحصول على استضافة مجانية من « Internet Solutions»، وهي أكبر شركة متخصصة في تزويد خدمات الإنترنت في جنوب أفريقيا؛ كما أني أتعاون مع منظمات غير حكومية متخصصة في المجالات التعليمية، مثل منظمة «Edunova»، التي توفر للجماعات السكانية المحرومة تدريباً في مجال تكنولوجيات المعلومات والاتصال، ومنظمة «Siyavula»، التي تقوم بتصميم موارد تعليمية عالية الجودة.

تحديات ينبغي مواجهتها

إنني أدرك أيضاً أن ثمة تحديات يتعين مواجهتها. ففضلاً عن التضحيات الشخصية التي كان لزاماً على زوجي (الذي يشاركني في العمل) وعليّ شخصياً أن نقدمها لإدارة مشروعنا، فإن موقع «أوبامي» يعتمد على عوامل خارجية. ومثال ذلك أن السوق، الذي يمكن له الاستفادة بأكبر قدر من «أوبامي»، يعاني من عدم كفاية البنية الأساسية وفرص الانتفاع بخدمات الإنترنت؛ وفي هذا الصدد، تشير بيانات إدارة الإحصائيات المتعلقة بالتعليم الأساسي في جنوب أفريقيا إلى أنه، في عام ٢٠٠٩، لم تتوافر قاعات للخدمات الإلكترونية إلا في ٢٣٪ فقط من المدارس العامة في جنوب أفريقيا، التي يبلغ عددها ٢٥٠٠٠ مدرسة، وأن أقل من ٢٠٪ من هذه المدارس قد تكون موصولة، في الوقت الراهن، بشبكة إلكترونية.

أما فيما يتعلق بالمدارس الخاصة، التي يبلغ عددها ٢٠٠٠ مدرسة في البلاد، فإن جميعها تقريباً مجهزة وموصولة بالشبكات الإلكترونية منذ نشأتها. ولهذا السبب، توجهت أولاً إلى القطاع الخاص لتقديم مشروعي. وتمثلت إستراتيجيتي في الدخول في سوق المدارس الخاصة المحدودة العدد والموصولة بشبكات الإنترنت، سواء في الدخل أو في الخارج، وذلك للاستفادة من مزاياها التنافسية (معلمون مؤهلون، موارد تربوية ممتازة)، ولكي يستفيد منها أيضاً المجتمع برمته. وبالفعل، فإن هناك مدارس أقل حظاً استطاعت، عن طريق موقع «أوبامي»، أن تنتفع، في وقت قصير، بالموارد التعليمية الجيدة التي صممها آخرون.

وحتى وإنْ راهن «أوبامي» على هذه المدارس الموصولة بالشبكات الإلكترونية، فإنه اصطدم بصعوبات شتى. فثورة تكنولوجيا Web ٢,٠ لم تصل بعد إلى المدارس، خلافاً لما هو الحال بالنسبة للرابطات الاجتماعية وشبكات الأعمال التجارية والمتخصصة. وقد يعزى ذلك إلى أسباب أمنية، حيث أن من واجب السلطات المدرسية اتخاذ تدابير صارمة لحماية الأطفال. وقد لزمني بعض الوقت لكي أقنع هذه السلطات بالقيمة الاجتماعية للتعلم التي يوفرها «أوبامي»، وبتصميمنا على إتاحة مجال آمن لعمل هذا الموقع. واليوم، وبعد أن أظهر «أوبامي» كفاءته بالنسبة إلى ما يقرب من أربعين مدرسة موصولة به، فإن الأمور باتت أكثر يُسراً.

أما فيما يتعلق بقدرات الاتصال، فإن قارتنا تشهد تقدماً ملحوظاً. فنُظُم الكابلات الممتدة في قاع البحار (SEACOM, Maine One, EASSy, WACS)، التي تربط أفريقيا بالطرق السريعة الرقمية، سيكون من شأنها تحقيق نمو سريع ومطرد لقدرات الاتصال في أفريقيا، فضلاً عن خفض تكاليف الانتفاع بشبكات الاتصال. وفي الوقت الحالي، يتم الانتفاع، أساساً، بالإنترنت عن طريق الهواتف النقالة، وسوف يظل الحال على ما هو عليه، لأن الأمر يتعلق بسوق كبير يشهد تنمية كاملة. وفيما يخص المدارس، فإن خفض تكاليف المواد اللازمة (بفضل التقدم المحرز في خدمات تكنولوجيا المعلومات غير المادية) سيتيح فرصة حقيقية لإنشاء قاعات للتكنولوجيات والحد من الفجوة الرقمية (والتعليمية).

وفي عام ٢٠١١، قامت الشركة الفرنسة «Netexplorateur»، بشراكة مع اليونسكو والخطوط الجوية الفرنسية وشركتي «Deloitte» و«Orange» وغيرها، بإدراج موقع «أوبامي» ضمن أهم التكنولوجيات العشر الواعدة في العالم، فيما أسعدني الحظ، عام ٢٠١٠، بأن أكون في القائمة التي تصدرها صحيفة Mail & Guardian اليومية تحت عنوان «٢٠٠ شاب ينبغي دعوتهم على الغداء». إنه لشرف عظيم أن نرى أن «أوبامي» يحظى بالتقدير، حتى ولو ما زال أمامه شوط طويل عليه خوضه. إن كل خطوة يخطوها «أوبامي» هي بمثابة دافع لمواصلة العمل على تحسين نوعية التعليم المدرسي وربط مدارس أخرى في القارة الأفريقية بمثيلاتها في بقية أنحاء العالم. ■

باربارا مالينسون، ٣٠ سنة، مؤسسة أوبامي، الشبكة الاجتماعية لخدمة مدارس جنوب أفريقيا.

© الحقوق محفوظة

أسلحة

مقابلة أعدّتها سيلين ديمير

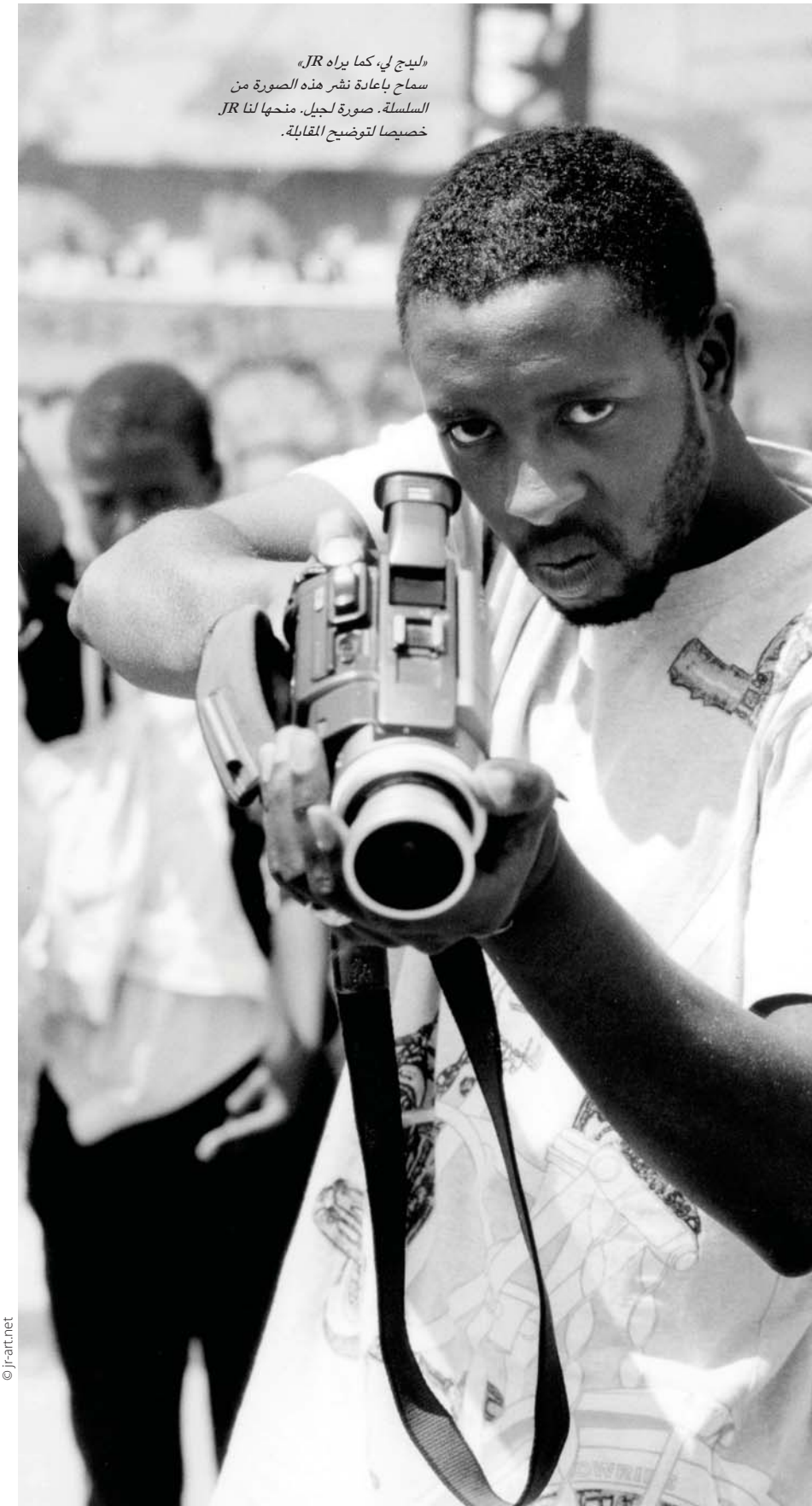

«ليج لي، كما يراه JR»
سماح باعادة نشر هذه الصورة من السلسلة. صورة لجيل. منحها لنا JR خصيصا لتوضيح المقابلة.

© jr-art.net

ذات يوم في عام ١٩٩٧، كان أحد الصبية يعمل في حقل مع أخوته. وفجأةً اقتحم رجال مسلحون هذا الحقل، فلاذ أخوة الصبي الكبار بالفرار مسرعين، فيما فشل هو في محاولة اللحاق بهم. وكانت نتيجة ذلك أن اختطفه هؤلاء الرجال، ثم ألبسوه زيّاً عسكرياً، وأجبروه على تدخين مخدر القنب، وأعطوه قطعة سلاح، وأمروه بإطلاق النار في المعارك؛ ولم يكن في وسعه إلا أن يطيع أوامرهم ويطلق النار كما يفعل الأطفال الذين يلعبون لعبة الحرب... اسم هذا الصبي هو سيرج أميسي، وعمره الآن ٢٥ سنة تقريباً؛ وهو لا يعرف تاريخ ميلاده على وجه التحديد. وبعد أن تم تسريح سيرج من الجندية، عند وفاة لوران ديزيريه كابيلا، في عام ٢٠٠١، اتسمت حياته بالتخبط. وذلك لأنه كان من الصعب عليه الاندماج من جديد في الحياة المدنية، ولكن الحظ شاء أن يكتشف لديه مواهب فنية. وهو ما أتاح له استرداد حريته الشخصية. ومن ثم فقد بدأ حياة جديدة. واليوم، يعتزم سيرج مساعدة الجنود الأطفال في جميع أنحاء العالم، الذين يتراوح عددهم بين ٢٠٠ و٣٠٠ ألف طفل، على أن يحذوا حذوه. وتجدر الإشارة إلى أن الأنشطة التي ينفذها سيرج تتمثل في الرقص باستخدام ما يصنعه من دُمَيّ، وفي ممارسة فنون النحت، والكتابة، وكلها أمور يضطلع بها لنفسه، ولهؤلاء الأطفال، ولنا جميعاً.

لم يكن عمرك يتجاوز عشر سنين عندما اُختطفت وأُجبرت على القتال في صفوف جنود لوران ديزيريه كابيلا. وحتى عام ٢٠٠١، كنت طفلاً مجنداً، أي «كادوجو»، كما يقال في بلادك. كيف تنظر إذن اليوم إلى هذه الفترة؟

إن نظرتي اليوم إلى الحرب لا تمت بصلة على الإطلاق لما كنت أراه آنذاك. فعندما اُختطفت، تملكني الخوف. فقد أبعدونا عن أُسَرِنا، وأدركت على الفور أنهم لن يسمحوا لنا برؤية أقاربنا مرة أخرى. ولقد اعتبرونا أطفالاً يتعين عليهم التضحية بحياتهم فداءً لأمتهم. ثم أني التزمت بالنظام العسكري واعتدت أن أكون بين زملائي.

*«الأسلحة العجائبية» عنوان ديوان شعر للشاعر المارتينيكي أيميه سيزير (١٩١٣ـ ٢٠٠٨).

سيرج أميسي
العجائبية (١)

ولم تكن لنا أية دراية بالقضايا السياسية. فقد اقتصر الأمر على تلقيننا وسائل القتال ووجوب إطاعة الأوامر. وهكذا تحولنا إلى عسكريين. وساد بيننا شعور بأننا ننتمي إلى أسرة واحدة، إضافة إلى أننا كنا نقضي أوقاتنا في جوّ من التسلية والمرح.

حقاً، كنتم تتسلون وتمرحون! ألم تخشون الموت؟

لقد كنا نعرف أن الموت يتهددنا في كل لحظة؛ ولكننا كنا نعتقد أحياناً بأن الموت هو قدَر الآخرين الذين يموتون، ولا يعنينا نحن الأطفال. ثم أننا كنا ندخن سجائر حشيش، ونعتبر أنفسنا كما لو كنا ممثلين في فيلم من بطولة شوارزينجر، وكأن الموت ليس حقيقة واقعة. لقد كنا بمثابة نجوم الجيش، لأن الأطفال الجنود كانوا مدعاة كبيرة للتسلية بالنسبة إلى الجنود الذين يكبرونهم سناً.

غير أن ما كان ينقصنا فهو اللعب. فلقد كنت أتقاضى أجراً لا أستطيع استخدامه سوى لشراء تماثيل الجنود الصغيرة لألعب بها. ولكن عندما يندلع قتال، كان لزاماً عليّ أن أرتدي لباسي العسكري، وأتهيأ لخوض المعارك الحقيقية.

ولقد تعلمت أن أعيش دون رهبة ولا استكانة. واليوم، فإني لا أستطيع العيش على هذا النحو. فعندما تعود بي الذكريات إلى عملي في الجيش، أرى نفسي مختلفاً عما كنت عليه آنذاك. ولا أتخيل أني كنت هذا الطفل المجند، لأني صرت اليوم شخصاً آخر.

هل كانت لك أحلام أو هل كنت تمنع نفسك عن التفكير في أن يكون لك أحلام؟

لم يكن لدينا وقت لكي نفكر في ذلك. ولم تكن لدينا أفكار عن المستقبل. بل إننا لم نكن نتخيل أننا سنكبر يوماً ما. فقد تم تجنيدنا لا لشيء آخر سوى أن نقاتل، وأن نواصل القتال.

ما هي مشاعرك إزاء الجنود الذي أجبروك على القتال، والذي يتصرفون بالمثل مع أطفال آخرين اليوم؟

في هذه الفترة، كنا نعتقد أننا نساند أمتنا؛ كما كنا من المتحمسين للرئيس كابيلا، الذي اُعتبرناه بمثابة أبٍ لنا جميعاً، وأُعجبنا به أيّما إعجاب. أما فيما يتعلّق بهؤلاء الجنود، فإننا لم نضمر لهم أيّ ضغينة، إذ أنهم أعطونا سلطة لم تكن تتوافر عادةً للأطفال في مواجهة من هم أكبر منهم سناً. وكنا نحاول دائماً معرفة من هو الأقوى بين صفوفنا. أما الحياة المدنية فقد كانت عالماً لا ندري عنه شيئاً. ولقد كنا نملك السلطة، فلماذا نستغني عنها؟

واليوم، ليس لي دراية كافية بالقضايا السياسية تتيح لي معرفة الأسباب المؤدية إلى نشوب الحروب؛ كما أنني لا اعرف لماذا اختطفني هؤلاء الجنود. ولكني أدرك أن حب الوطن إنما يقتضي الحفاظ على أبنائه. فمن ذا الذي سينهض بالوطن بعد أن تضع الحرب أوزارها إذا ما استمر الأطفال في الخدمة العسكرية؟ إنني لست غاضباً، ولكني لا أوافق على تصرفات هؤلاء الجنود. إنني أشفق عليهم كثيراً. فهم لا يدرون ما يفعلون.

لعلك تدرك الآن أنك كنت ضحية لتلاعب المسؤولين العسكريين. ولكن، هل تشعر الآن جزءاً من تكوينك الشخصي؟

لقد كان من الصعب بمكان أن أندمج من جديد في الحياة المدنية. ففي عام ٢٠٠١، تم تسريحي من الجيش، واكتسبت الصفة المدنية؛ ومع ذلك فلم أتخلص تماماً من خلفيتي العسكرية. ولكني استطعت أن أتصرف مع الغير على نحو أفضل؛ واكتشفت الفن، واستعدت حريتي واستقلالي، وذلك بفضل «فضاء ماسولو» [وهو مركز لموارد التضامن في المجالات الفنية والحرف اليدوية، أنشأه فنانون كونغوليون هم مالفين فيلو، وهوبرت ماهيلا، ولامبير موسيكا، في عام ٢٠٠٣، في كينشاسا، عاصمة جمهورية الكونغو الديمقراطية].

أثناء الحرب، كنت تقوم بتنسيق أنشطة موسيقية أثارت إعجاب زملائك. هل الغناء كان يساعدك على تحمّل الوضع الذي كنت فيه؟

نعم، لقد كنت أهوى الغناء وإضحاك الزملاء. وقبل تجنيدي في الجيش، كان أخوتي الكبار يغنون ويروون حكايات لتسليتي. أما في الجيش، فقد كان بعض الجنود يشتاقون إلى أطفالهم، فيطلبون مني أن أرفع معنوياتهم. وذلك لأن صوتي الطفولي وقامتي القصيرة كانا مدعاة لإضحاكهم وإدخال البهجة في قلوبهم. لقد حظيت وحدي بنجومية أثارت غيرة زملائي من الأطفال الجنود. إضافة إلى أني كنت أهوى التمثيل، وظننت أني أستطيع أن أصير فناناً.

«يُقال عنا إننا أطفال الحروب، أي أطفال جنود، وبتعبير آخر: «كادوجو»؛ ولكننا كنا أطفالاً زُجّ بنا في الحرب. ولم أكن أريد الاشتراك في الحرب، ولكني أُجبِرت على حمل السلاح، ولم يعد لي أهل ولا أسرة، إذْ لم يبق لي سوى الجيش، ولم أملك سوى السلاح الذي حملته، وقيل لي إنه بمثابة أبي وأمي».

سيرج أميسي، «تذكروني، أنا طفل الغد»،

صدر عن دار النشر «Vents d'ailleurs»، ٢٠١١

مشهد من العرض «كونغو جسدي»، عرض في باريس، فرنسا، في حديقة لا فيلليت سنة ٢٠١٠.

© ٢٠١٠ إنريكو بارتولوتي / EPPGHV

ما هي الأشكال الفنية التي تمارسها في الوقت الحالي؟

إني أمارس الرقص، واللعب بالعرائس، والنحت. وأفكر في مشروع أنفذه منفرداً، وأجمع فيه بين هذه الفنون الثلاثة. وإن لم يكن من الممكن تنفيذ هذا المشروع، فسوف أقدم عرضاً تحت عنوان «الكونغو، جسدي» بالاشتراك مع صديقي ياوندي مولامبا الذي تعرفت عليه قبل تجنيدي بالجيش، والذي كان زميلاً لي في صفوف الأطفال الجنود. وخلال السنوات الأخيرة، قدمنا عروضاً تمثيلية في مناطق شتى في أوروبا وفي جمهورية الكونغو الديمقراطية. غير أن ممارسة الفن لا تكفي لكسب قوت يومي، ولذلك فإن آمل في العثور على ورشة للعمل فيها. وإضافة إلى ذلك، فلدي مشروعات أخرى تخصني كفنان، لا على اعتبار أني كنت طفلاً مجنداً. كما أني على صلة برابطات معنية بالشباب في موزمبيق وفي ألمانيا.

كيف تحملت نظرة الناس لك عندما بدأت في التعبير عن نفسك من خلال الفن؟ هل انتابك الخوف؟

لقد خشيت أن أصطدم مشاعر الناس وألا أتحمل نظرتهم لي. بل إني خشيت أن أتعرض لتهديد أو لمحاكمة. وعندما أتيت إلى فرنسا، في نهاية عام ٢٠٠٨، اصطدمت على الفور بالماضي الذي عشته، وأخذت أفكر فيه مليّاً. وانتابني شعور بأني أستعيد ما عشته كما لو كان واقعاً مباشراً. أما اليوم، فإني أنعم براحة البال، وأتجنب كثرة التفكير فيما مضى لكي أستطيع المضي قدماً في حياتي. ولو كان الأمر بيدي، لامتنعت عن الاشتراك في الحرب. إني أحاول أن أتحرر من الشعور بالذنب، وأقول في نفسي إن الخطأ ليس خطئي، وإن من هم أكبر مني سناً أجبروني على فعل ما فعلته تحت تأثير المخدرات. ولقد استطعت التخلص من كل هذه الأمور بفضل بعض الأشخاص الذين وجدت منهم كل الدعم والمساندة. وذات يوم، حصلت على دفاتر مدرسية، فأخذت في كتابة قصة حياتي؛ وفعلت ذلك لنفسي.

في آذار/ مارس الماضي، أصدرت دار النشر «Vents d'ailleurs»، في فرنسا، كتاباً ألفته تحت عنوان «تذكروني، أنا طفل الغد». ما هي الرسالة التي أردت نقلها إلى الشباب اليوم من خلال هذا الكتاب؟

إن ما دعاني إلى تأليف هذا الكتاب [استناداً إلى القصة التي رويتها باللغة «الليغانا» في الكراريس بين عامي ٢٠٠٤ و٢٠٠٨] هو أن أترك أثراً لما حدث لي فيما مضى، وأن أبين للشباب ما عشته في طفولتي وما عاشه، وما زالوا يعيشه، آخرون غيري في بلدان أخرى. فقد يكون في ذلك خير نصيحة. ■

© اليونسكو / دانيكا بيجيلجاك

نيسان/أبريل ٢٠١١، في مكاتب رسالة اليونسكو، مقابلة مع سيرج أميسي أجرتها سيلين ديمير ١٨ عاما طالبة فرنسية-تركية في جامعة باريس الرابعة (فرنسا)، وهي أول مقابلة تجريها.

مأخوذون في دوّامة قاتلة

إن ما يقرب من ٢٨ مليون طفل محرومون من التعليم بسبب النزاعات المسلحة. ولكن تداعيات هذه النزاعات على التعليم لا يتم الاعتراف بها بقدر كافٍ في كثير من الأحيان. وفي هذا الصدد، تقول إيرينا بوكوفا، المديرة العامة لليونسكو: «في حين أن النزاعات المسلحة ما زالت تشكل عقبة رئيسية تعترض سبيل التنمية البشرية في أجزاء عديدة من العالم، فإن النتائج الناجمة عنها تظل مهملة إلى حد بعيد». فهذه النزاعات لا تدمّر المدارس والبنى الأساسية التعليمية فحسب، بل وتقضي أيضاً على آمال وطموحات أجيال بأكملها.

ومع ذلك، فإن التقرير العالمي لرصد التعليم للجميع ٢٠١١، الذي أصدرته اليونسكو تحت عنوان «الأزمة الخفية: النزاعات المسلحة والتعليم»، يؤكد على أن المشكلة إنما تكمن في النزاع المسلح ذاته بقدر ما تتعلق بما يقترن به من أوضاع. فالأطفال يتركون المدارس؛ أو قد يمنعهم آباؤهم من الذهاب إليها بسبب التهديدات المستمرة التي يتعرض لها المعلمون والتلاميذ داخل المحيط المدرسي وخارجه. فضلاً عن أن التلاميذ يخضعون للمخاوف، ولعمليات الاغتصاب والخطف. ويتم تجنيد كثير من الأطفال المخطوفين في القوات المحاربة. وهؤلاء ليس لهم من خيار سوى طاعة الأوامر والقتل، وذلك حفاظاً على حياتهم وأملاً في العودة إلى أسرهم. كما تُستخدم عمليات الاغتصاب كتكتيك حربي؛ وفي بعض البلدان، يتم استهداف الشبان بشكل خاص، إذْ أنهم لا يملكون وسائل للدفاع عن أنفسهم. وفي هذا الصدد، تروي إحدى المراهقات من كيفو الجنوبية، بجمهورية الكونغو الديمقراطية، تُدعي مينوفا، وتبلغ من العمر ١٥ عام، هذه الواقعة: «كنت عائدة من النهر حيث ذهبت لإحضار بعض الماء عندما اعترض طريقي جنديان وقالا لي إنهما سيقتلانني إذا رفضت ممارسة الجنس معهما. فعمدا إلى ضربي وتمزيق ملابسي. وقام أحدهما باغتصابي [...] وتحدث والديّ مع قائد في الجيش، فقال لهما إن جنوده لا يغتصبون الفتيات، وإنني أختلق الأكاذيب» (Human Rights Watch, 2009d).

إن كون النزاعات المسلحة تدمّر التعليم شيء واضح. ولكن أن يكون إخفاق التعليم هو ما يغذي النزاعات فهذا شيء أقل وضوحاً. ومع ذلك، فإن نظاماً تعليمياً لا يوفر للشباب الكفاءات الضرورية لتجنّب البطالة والبؤس، ولا يزودهم بالأدوات التي لا غنى عنها لتعلم «العيش معاً» واحترام الغير، فهو نظام يُعتبر سبباً خفياً لإثارة الأحقاد والنزاعات.

ميلا زورليفا، طالبة بلغارية عمرها ٢٢ عاماً، تعمل حالياً كمتدربة في قسم إعلام الجمهور باليونسكو

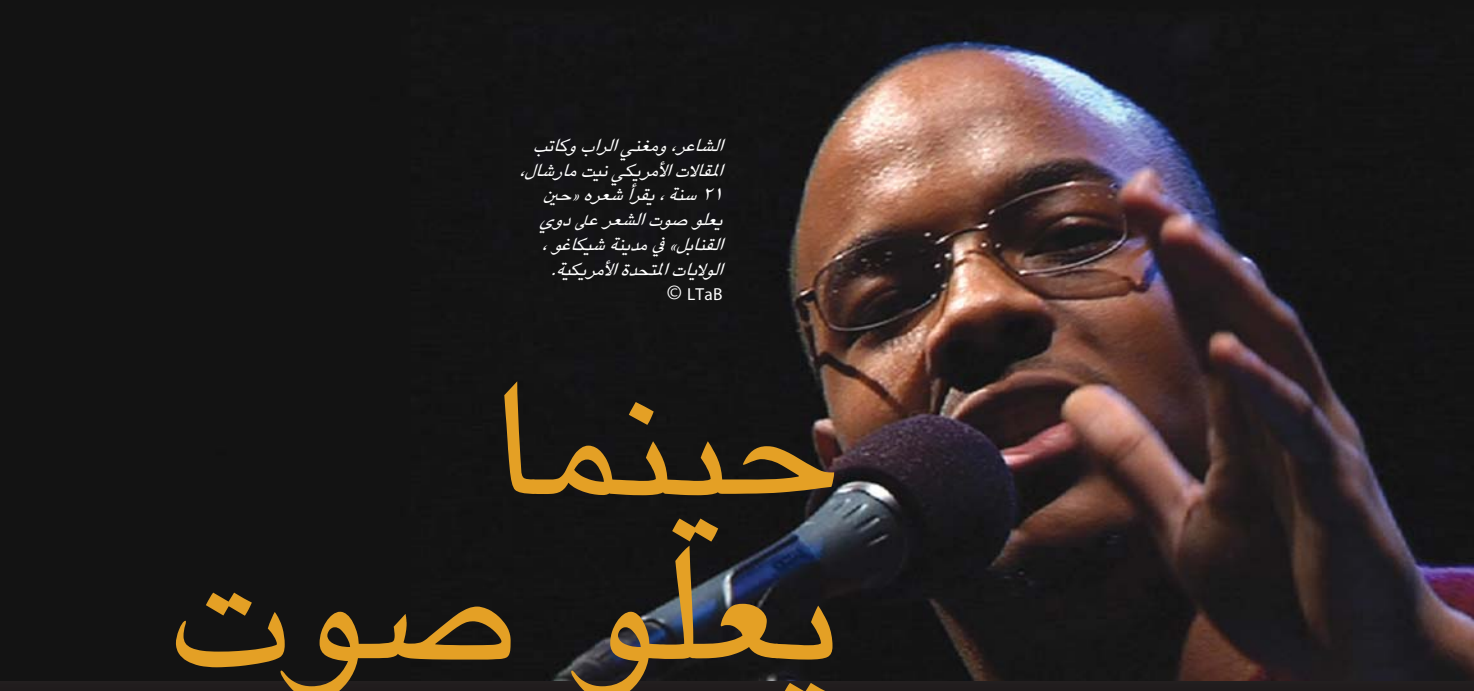

الشاعر، ومغني الراب وكاتب المقالات الأمريكي نيت مارشال، ٢١ سنة ، يقرأ شعره «حين يعلو صوت الشعر على دوي القنابل» في مدينة شيكاغو ، الولايات المتحدة الأمريكية.
© LTaB

حينما يعلو صوت الشعر على دوي القنابل

إن التجمع، بدلاً من التفرق الذي عانت منه الأجيال السابقة، وتسليط الأضواء على المواهب الفنية للشباب وما يقولونه، ونبذ كافة أشكال سوء الفهم... كل هذه الأمور، وغيرها، إنما تمثل عدة نجاحات تميزت بها المباراة الشعرية التي تحمل اسماً له صدى قوي، هو: «صوت أعلى من دوي القنابل»، والتي انطلقت منذ عشر سنوات، ويشارك فيها شعراء ناشئون من شيكاغو.

بقلم نيت مارشا

كيف نُعرّف المهرجان الشعري لشباب شيكاغو (الولايات المتحدة)، الذي يُسمى «صوت أعلى من دوي القنابل»؟ إنه ليس مكاناً بالمعنى الحقيقي للكلمة. ولكن يمكن القول إنه حدث هام. أو نقول، بتعبير أكثر دقة، إنه تجمع شباب. وقد يكون من الأصوب أن نسميه روحاً. وهذه الروح تطل، في نهاية كل فصل شتاء، لمدة ثلاثة أسابيع، على جموع من الشباب لا يكف عددهم عن الازدياد، تتألف من معلمين وطلاب وشعراء ومتفرجين يأتون من شتى أنحاء « شيكاغولاند» (منطقة شيكاغو).

انطلق مهرجان «صوت أعلى من دوي القنابل» في عام ٢٠٠١، وذلك في شكل مباراة شعرية يتقابل فيها ثماني مدارس ثانوية في قاعة لا تكاد تَفضُل «قبواً تملأه جرذان»، كما وصفها كيفين كوفال، أحد المشاركين في إقامة هذا المهرجان. وعندما بدأت، في سن الثالثة عشر، الاشتراك في المباراة، كان هذا المهرجان قد اتسع نطاقه ليشمل ١٥ فريقاً متنافساً (بينما كان الفريق الذي انتمي إليه هو الوحيد الذي يمثل مدرسة ثانوية). حدث ذلك في عام ٢٠٠٣، ولكني أتذكر ذلك كما لو كان قد حدث بالأمس: فبعد عطلة نهاية الأسبوع، جئت مسرعاً إلى المكان، واكتشفت، في قاعة مظلمة منظراً أثّر في كياني كل التأثير، وهو منظر مراهقين من كل الأجناس اجتمعوا للاحتفال بالحياة. أي بحياتهم. وكانت هذه القاعة معبقة برائحة فطائر البيتزا المتوافرة بلا مقابل، وتتردد فيها دقات مختنقة لموسيقى «الهيب هوب»، وهو ما جعلني افتتن بكل ما رأيته وسمعته وشعرت به في هذا المكان.

إن أكثر ما جذبني واستهواني هو دائرة واسعة من الطلاب أُخذت تتسع في آخر القاعة. وعندما اقتربت منهم، لاحظت أنهم كانوا ينظمون أشعاراً. ولم يكن هؤلاء الطلاب يكتفون بإنشاد قصائد حفظوها عن ظهر قلب، بل إنهم كانوا يؤلفون تلقائياً ألحان «الراب»، وأغانٍ، وقصائد موزونة. وعندما استمعت إلى هذهً المجموعة من الطلاب التي تميزت بأسلوب حُر، تأثرت على الفور بالطابع الديمقراطي القوي الذي يتحلون به. فكل من كان لديه رغبة في إلقاء أبيات شعرية مرتجلة، فله أن يفعل ذلك. والمحك الحقيقي إنما يقتصر على امتلاك المهارة لأداء مثل هذه الأدوار.

غير أن الحدث الأهم الذي يتميز به هذا المهرجان إنما هو هذا النوع من الشعر المرتجل والمتمثل في مباراة شعرية ينشد كل مشترك فيها قصائده دون ألحان موسيقية أو أي شيء آخر. وبطبيعة الحال، فإن مباراة شعرية من هذا النوع هي مباراة لا تحتمل أشعار المتبارين فيها إلا أحكاماً شخصية غير موضوعية، إذْ يُشاع في مهرجان «صوت أعلى من دوي القنابل» أن أفضل الشعراء ليسوا هم الذين يحرزون الفوز في مثل هذه المباريات. ويرى الكثيرون ممن لا ينتمون إلى جماعة شعراء المهرجان أن ذلك إنما هو أمر مجحف كل الإجحاف؛ ولكن ذلك، على وجه التحديد، هو السر الذي ينطوي عليه الشعر المرتجل: فالواقع أن هذا النوع من الشعر لا يعدو كونه حيلة لتسليط الأضواء على الموهبة الفنية للشباب وما يقولونه.

الشعر ضد التفرقة

من المفيد أن يُمارس هذا النوع من الأنشطة في كل مكان في العالم؛ أما في شيكاغو فإن هذا الفن يُعتبر أمراً حيوياً تماماً. وذلك لأن التفرقة العنصرية فيها ما زالت واضحة للعيان. كما أنه ليس من المستحسن، حتى الوقت الحاضر، أن يجتمع جنباً إلى جنب، في مكان واحد، أشخاص ينتمون إلى أصول عرقية وخلفيات اجتماعية ـ اقتصادية مختلفة، في هذه المدينة، التي وصفها مارتن لوثر كينغ بأنها «المدينة الأكثر عنصرية في شمال الولايات المتحدة». وذلك هو ما يضفي طابعاً غريباً للغاية على الأصول الديموغرافية المتنوعة لمرتادي مهرجان «صوت أعلى من دوي القنابل»: فهذه الأصول لا تبالي بالفواصل بين التكتلات العرقية والاجتماعية الذي تتسم بها شيكاغو. فمن الأمور المثيرة للإعجاب أن هذا المهرجان يجذب كل سنة طلاباً ينتمون إلى جميع الخلفيات الاجتماعية، بحيث يُقبل بعضهم على بعض، ويستمع بعضهم إلى بعض، ويتعلم كل منهم من نفسه ومن الآخرين.

ومما يستلفت الأنظار حقاً أن فتاةً تُدعى كوش ثومبسون تستشيط غضباً لاستباحة المجتمع الذي نعيش فيه نشر صور مثيرة لجسد المرأة تبرز ما يُسمى «ستايل باربي»، على الرغم من أنها جاءت من مدرسة «أورر» الثانوية، وهي مدرسة تقع في الحي الغربي من المدينة وتتعرض لمشكلات صعبة. كما أن ما يثير الدهشة أيضاً أن تتفق هذه الفتاة في الرأي مع طلاب ملتحقين بمدارس يكثر عليها الطلب نظراً لمستواها الجيد ولكونها تقع في أرقى أحياء المدينة، وأن تتماشى أفكار هؤلاء الطلاب مع ما تنادي به في هذا الشأن. وهو الأمر الذي يدل على أن ثقافة حضرية جديدة في سبيلها إلى التحقق بفضل المشاعر التي يتقاسمها طلاب منتمون إلى خلفيات اجتماعية مختلفة.

وجدير بالذكر أن المدينة شهدت أعمال عنف واضطرابات كثيرة ارتكبها شباب خلال السنوات الأخيرة؛ وعلى الرغم من ذلك، فإن مهرجان «صوت أعلى من دوي القنابل» ظل مرفأ سلام في خضم هذه الاضطرابات: فلم يقع أي عمل من أعمال العنف خلال الأعوام العشرة التي مضت منذ إنشاء هذا المهرجان، الذي يجذب طلاباً يتخطون حدوداً غير مرئية، رغم أنها حدود حقيقية تفصل بين مختلف الأحياء والمناطق التي تسكنها عصابات الأشقياء. وحتى إذا ما اشتدت حدة المنافسة بين المتبارين، البالغ عددهم، في الوقت الراهن، أكثر من ٧٠ فريقاً و٣٠ شاعراً، فإن روح الجماعة تبقى على حالها. فما زال فن الشعر المرتجل الجماعي هو الفن المهيمن في المهرجان، وغالباً ما تواصل الفِرق المتنافسة مساجلاتها، في جو من المرح، في مطعم مجاور للوجبات السريعة.

مهرجان أثمر ثماره

في عام ٢٠٠٧، لاحت هذه الروح لمنتجيْن أمريكيين هما كريغ جاكوب ووجون سيسكيل. وفي العام التالي، لازم هذان المنتجان ثلاثة شبان وفريق أثناء الاستعدادات التي جرت تمهيداً لانطلاق المباراة. ولحسن الحظ، فقد تم اختياري للاشتراك فيها. وقد أسفرت عملية اختيار المشاهد من النسخ المتعجلة، التي استمر تصويرها نحو

© بترخيص كريم من طرف سيسكل / جاكوب للانتاج

لقطة من فيلم «أعلى من دوي القنابل»

> ***« إذا لم تكن حاضراً هنا في الأسبوع الأول من أيار/ مايو، فإن ذلك يعني أنك لست في المكان المناسب. وذلك لأن مهرجان «صوت أعلى من دوي القنابل» هو المكان الأكثر متعة في العالم».***
>
> **آدم غوتليب، من المشاركين في المباراة بين عامي ٢٠٠٥ و٢٠٠٨**

مائة ساعة، عن فيلم وثائقي يسجل الحياة اليومية لعدد من الطلاب، ويبين كيف أن فن الشعر المرتجل قد قلب حياتهم رأساً على عقب.

ولقد نال هذا الفيلم، الذي يحمل عنوان «صوت أعلى من دوي القنابل»، ترحيباً في الصحف، ولاسيما في صحيفتي «فارييتي ماجازين» و«لوس أنجيليس تايمز»؛ كما أنه لفت اهتمام نقاد مثل روجيه إيبرت [وهو من أشهر النقاد في الولايات المتحدة]. وبالإضافة إلى ذلك، فقد تم ترشيحه للعديد من المهرجانات السينمائية في الولايات المتحدة وكندا، وفاز بجوائز في عدة مهرجانات، من بينها مهرجانات «بالم سبرينغز» و«شيكاغو» و«أوستين». وسوف يُعرض على الصعيد الوطني في إطار البرنامج الشهري للأفلام الوثائقية على القناة التلفزيونية التي تديرها المنتجة أوبراه وينفري، وذلك في خريف ٢٠١١. وبفضل الشهرة التي اكتسبها هذا الفيلم، فإن مهرجان «صوت أعلى من دوي القنابل» أدى إلى إقامة مهرجانات أخرى: ففي نيسان/ أبريل ٢٠١١، دُعيت إلى مدينة «تولسا»، مع كيفين كوفال، للمشاركة في تنظيم أول مهرجان سنوي يحمل اسم «صوت أعلى من دوي القنابل» في هذه المدينة الواقعة في ولاية أوكلاهوما.

وجدير بالذكر أن إيريكا ديكيرسون، الفائزة بجائزة في عام ٢٠٠٩، تُعبّر عن تقديرها للوسائل التي يوفرها هذا المهرجان، الذي يتيح للمشاركين فيه الانخراط في «تجمع للشباب والارتباط الشبكي بعضهم بالبعض الآخر وبفنانين محترفين». ومن جانبه، يقول سيدني إدوارد إن: «مهرجان «صوت أعلى من دوي القنابل» أتاح لي فرصة لألتقي مع شباب آخرين أتوا من جميع أحياء مدينة شيكاغو وأن أصطنع لنفسي مهنة».

ويمثل هؤلاء الشباب، الذين يندرجون، اليوم، ضمن أبطال فن الشعر المرتجل، نسبة ضئيلة من المشاركين الذين سيواصلون مسيرتهم الأدبية. في حين أن كثيرين غيرهم سيسعون للعثور على مهن في مجالات أخرى، وهو أمر لا غبار عليه. وعلاوة على ذلك، فإن مهرجان «صوت أعلى من دوي القنابل» هو مهرجان يسلط الأضواء على المواهب الفنية الرفيعة المستوى، ويعمل على ازدهارها على نحو لا مثيل له في أي مجال آخر؛ غير أن نجاحه إنما يتمثل، قبل كل شيء، في إعلاء شأن الشباب. وإذْ يبين هذا المهرجان للشباب الطريقة التي يمكن بها الاستفادة مما يقولونه والاستماع لما يقوله الآخرون، فإنه يوفر لهم أيضاً الوسائل الكفيلة بتحليل العالم الذي يعيشون فيه، بما ينطوي عليه من أوجه النقص أو مظاهر الظلم، ومواجهة التحديات التي يطرحها. ووفق ما يشير إليه مالكولم لُندن، الذي فاز بمفرده في مهرجان ٢٠١١، فإن فعاليات المهرجان «لا تقتصر على المبدأ القائل بأن «صوت الشعر يعلو على دوي القنابل». وذلك لأن الطلاب الذين يمارسون الشعر المرتجل يلتئمون في تجمع يناقض مظاهر التفرق التي عاني منها آباؤهم. فالتآلف الذي يتسم به ما يقولونه في أشعارهم كفيل بالقضاء على كافة أشكال سوء الفهم الكامنة وما تنطوي عليه من مخاطر.

إن قوة مهرجان «صوت أعلى من دوي القنابل» إنما تكمن في المغزى الذي تنطوي عليه الرواية والمخيلة، وهو ما يبينه الطلاب الشعراء لجمهور متحمس لكي يكشف له العالم الذي يعيشون فيه، مع التزود في الوقت عينه بالوسائل الكفيلة ببناء العالم الذي يحلمون بتحقيقه. ■

نيت مارشال، البالغ من العمر ٢١ سنة، هو شاعر ومغن لموسيقى الراب وكاتب مقالات. قام بالدور الأولّ في الفيلم الوثائقي «صوت أعلى من دوي القنابل»، الذي فاز بجوائز عديدة؛ كما أنه وصل إلى مرحلة التصفية النهائية الخاصة بجائزة غويندولين بروكس المفتوحة عام ٢٠١٠ التي تمنحها رابطة شيكاغو الأدبية. وبالإضافة إلى ما ينشره من نصوص في العديد من المنتخبات الشعرية، فإنه ملتحق بجامعة «فانديربيلت» (مدينة ناشفيل، الولايات المتحدة) للحصول على درجة الماجستير في الدراسات الإنجليزية والأفريقية الأمريكية.

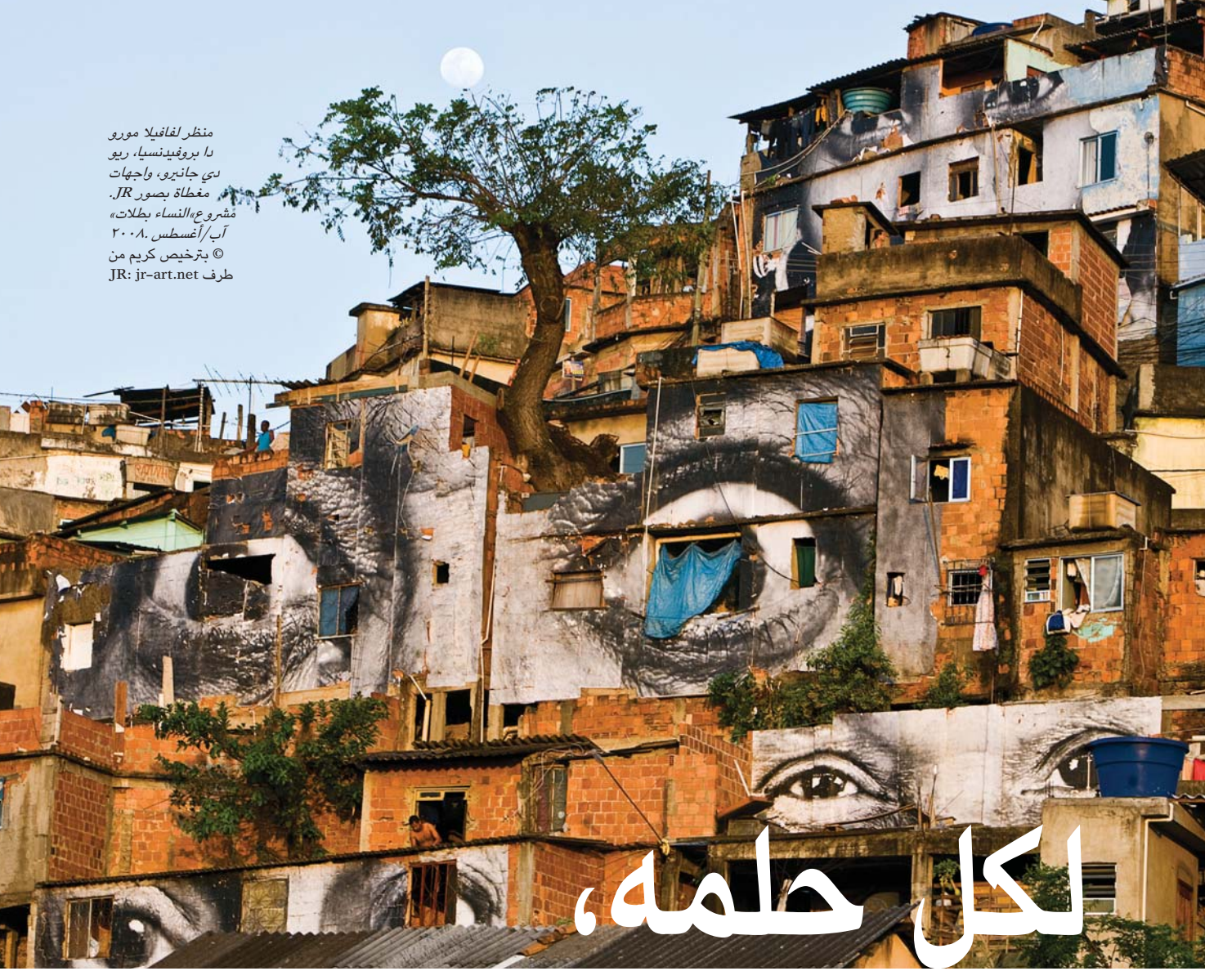

منظر لفافيلا مورو دا بروفيدنسيا، ريو دي جانيرو، واجهات مغطاة بصور JR. مشروع «النساء بطلات» آب/أغسطس ٢٠٠٨. © بترخيص كريم من طرف JR: jr-art.net

لكل حلمه، ولكن...

رغم اختلاف بلدانهم ومهنهم ولغاتهم، فإنهم يشتركون في كثير من الخصائص التي تتمثل في كونهم شباناً وفنانين وحريصين على فكرة إقامة روابط بين الثقافات. وحتى وقت قريب جداً، لم يكن يعرف بعضهم بعضاَ. فقامت اليونسكو بجمعهم. ومن بين هؤلاء بيتي شامية، وميرليين توالفهوفن، وممثلَيْن عن فرقة «مواهب ٢٠٠٨» هما إينجبورج براتلاند ومجد شاهين، الذين يجيبون عن الأسئلة التي وجهناها إليهم لكي يشارك قراء رسالة اليونسكو قناعاتهم ومشاريعهم وشغفهم بالموسيقى والغناء.

مقابلة أعدّها كل من إيريس جوليا بوهرل و خالد أبو حجلة

كيف يمكن لفنان أن يساهم في تحقيق السلام والفهم المتبادل بين الشعوب؟

بيتي شامية: إن الفنان هو النبراس الذي يضيء معالم البشرية التي ننتمي إليها. فروعة الفن المسرحي إنما تتمثل في أنه يبين لنا إلى أي حد نحن متشابهون، وذلك ليس في العالم من أدناه إلى أقصاه فحسب، وإنما أيضاً عِبر الأجيال. كما أن هذا الفن يعلمنا كيف ولماذا ينبغي أن نعيش معاً بسلام. كما أن تأثرنا، حتى الآن، بعمل فني يتعلق بالمسرح على وجه الخصوص، تم تأليفه في العصر اليوناني القديم، إنما يدل بوضوح على وجود طبيعة بشرية واحدة، معروفة ومحيرة في آن معاً.

إينجبورج براتلاند : إني أرى أن الموسيقى هي لغة القلوب، وأنه عندما يتعذر الكلام بنفس اللغة، فمن الممكن أن تكون الموسيقى هي وسيلة التواصل بين الناس. ولما كان العالم قد يبدو، في بعض الأحيان، مليئاً بالعنف، فإن المتعة التي لا تعادلها متعة أن نلتقي لنعزف ما يحلوا لنا من ألحان، مستمتعين سوياً بما نهواه. فما أحلى أن نخلوا بأنفسنا لكي نخلق هذا الجو من الحرية.

مجد شاهين: إن الموسيقى هي لغة الشعوب. كما أنها الوسيلة التي تجعل الآخرين يفهمون من هم وما هي مشاعرهم.

ميرليين توالفهوفن: أتجنب في مشاريعي بشكل عام استخدام كلمة «سلام»، لأنها كلمة تثير كثيراً من الآمال، فضلاً عن مشاعر اليأس، بل والإحباط. غير أن ذلك لا يمنعني من التفكير في الشروط الكفيلة بإحلال السلام. فإني أرى أن السلام إنما يتحقق في ظروف من بينها التواصل بين الناس. ولذلك فإني أسعى جاهداً لتشجيع علاقات التواصل وإثارة الرغبة في التعرف على الغير. والفن هو من أنجع الوسائل لتأجيج الرغبة في أن يطلع الناس على طبيعة بعضهم البعض، مع تفادي الحلول الجاهزة وإتاحة عوامل الانفتاح على الآخرين. فمتى تحقق الانفتاح، وزالت كل الحواجز، فإن الناس يتبعونك لأنهم يريدون معرفة مقصودك واكتشاف الحقيقة. وإني أعتقد أن ذلك هو ما من شأنه أن يؤدي إلى إحلال السلام والتفاهم. ويسعدني أيما سعادة أن أغادر مكاناً ما، تاركاً ورائي مجموعة من التساؤلات.

ما هي الصعوبات التي واجهتكِ أثناء تنفيذ مشروعاتك؟ وكيف تغلبتِ عليها؟

بيتي شامية: إن أول صعوبة واجهتني تمثلت في التسليم بعدم القدرة على شرح المنهج المتبع شرحاً وافياً عندما يتعلق الأمر بمعالجة مشروعات معقدة. ففي بعض الأحيان، يتجنب الفنانون تناول القضايا الخلافية لأنهم يعتقدون أن عليهم توفير جميع الحلول، أو امتلاك القدرة على التعبير عن آرائهم بحيث يكون من غير الممكن توجيه أي لوم لهم. وإني أعتقد أن الفنان له الحرية في الخطأ من وقت إلى آخر.

أما المشكلة الأخرى التي غالباً ما تواجهني فهي أن الناس يعتقدون معرفة كل ما يخص آرائي السياسية. فإنني أحلم بأن يصير الشرق الأوسط، يوماً ما، مثل الاتحاد الأوروبي. وبطبيعة الحال، فإن أغلب الناس يسارعون إلى القول بأن ذلك من رابع المستحيلات. وعندئذ أُذكرهم بالوضع الذي كانت عليه أوروبا منذ قرن من الزمان: ففي خلال مائة عام، شهدت أوروبا حربين عالميتين، وكانت بلدان القارة يحتل بعضها بعضاً، وتمزقها النزاعات. ولذلك فإني أرفض الرأي القائل بأنه ليس هناك ما يمكن تغييره في الشرق الأوسط.

إينجبورج براتلاند : إن المشكلة الوحيدة التي واجهتني كانت مشكلة لغوية. فهناك عدد من الفنانين المصريين والفلسطينيين يتحدثون اللغة الإنجليزية بالكاد؛ كما أنه ليس من السهل عزف ألحان موسيقية معاً عندما يكون من غير الممكن التخاطب شفوياً فيما بيننا. ومع ذلك فقد جمعتنا الموسيقى وقمنا بالعزف سوياً !

مجد شاهين: الواقع أنه لم يكن لدي مشكلة تتعلق باللغة ولا بالتعاون مع موسيقيين من مناطق أخرى من العالم. فقد تمثلت الصعوبة التي واجهتني في أمور موسيقية: فأنا عازف على آلات النقر الموسيقية، ومن الصعب أن أعزف لحناً نرويجياً ليس له أي صلة على الإطلاق بألحان الموسيقى الشرقية التي تعودت على أدائها. ولكن ذلك أكسبني خبرة ثرية !

ميرليين توالفهوفن: فيما يخصني، تعترض طريقي صعوبات عندما أقرر الخروج من المسارات المعتادة وإقناع الآخرين بمرافقتي في استكشاف عالم غير معهود. وفي هذا الصدد، فإني ألاحظ أن الناس لا يشاركونني بالضرورة الأفكار التي أتبناها. ففي قبرص، على سبيل المثال، تحدثت مع أناس كثيرين بشأن إعادة توحيد الجزيرة المقسمة، ورغبتي في التقريب بين شطري هذه الجزيرة من خلال الموسيقى؛ غير أن من تحدثت معهم في هذا الشأن لم يفهموا ما الذي أردت أن أصل إليه من وراء ذلك وما هي مقاصدي السياسية...وهو ما جعلني أطرح جانباً جميع الآراء التي كونتها، مفضلاً العزف والاستماع إلى ما يقوله الطرف الآخر. وبذلك اتضح كل شيء. ولكن ينبغي لي أن أقول إنني ارتكبت الكثير من الأخطاء خلال مسيرتي الفنية، وذلك لأني أفرطت في تعقيد الأمور، وتطلعت، دون جدوى، إلى أن يشاركني الآخرون أحلامي وأفكاري. فلكل فرد حلمه، ولكن متى انتقلنا من الحلم إلى الفعل، فإن ذلك يمثل حافزاً للناس يدفعهم إلى إنشاء الروابط والعلاقات فيما بينهم.

كيف تُعرّف دورك كفنان في الحياة الاجتماعية والسياسية في بلدك؟

بيتي شامية: ينبغي أن يكون الفنان مصدر إلهام في كل مجتمع من المجتمعات. والواقع أن ما أود أن أثيره لدى سكان البلد الذي أعيش فيه، أي الولايات المتحدة، هو رغبة حقيقية في أن يتحولوا إلى مواطني العالم، وأن يكتشفوا ثقافات أخرى، وأن يهتموا بوجهات نظر الآخرين.

وعندما يعيش المرء بين ثقافتين، فمن الضروري بمكان تبيين ما تنطوي عليه هذه الثقافات من سمات مشتركة. مثال ذلك، أن الفنانين الغربيين غالباً ما ينتقدون في أعمالهم الخاصة بالشرق الأوسط وضع المرأة. ولكن النساء في الولايات المتحدة أيضاً لا يتمتعن إلا بقدر يسير جداً من النفوذ السياسي أو الاقتصادي أو الفني ! ومن ثم فإن من بين ما يتعين عليّ القيام به، باعتباري فنانة، هو الإشارة إلى تشابه وضع المرأة في جميع أرجاء العالم، لأنه من السهل بمكان أن يلاحظ الناس ما يجري في الثقافات الأخرى، ولكنهم غالباً ما ينسون الاهتمام بما تتسم به ثقافتهم. ولما كنت أعيش بين عالمين في آن واحد، فإني مضطرة إلى التساؤل عن الفوارق الأساسية الحقيقية التي تفصل بين شتى الثقافات.

مجد شاهين: إن بلدي، فلسطين، لديه الكثير من الرسائل والأحلام التي يود أن يتقاسمها مع العالم. وذلك هو ما أود القيام به من خلال الموسيقى. وبطبيعة الحال، فإن الرسالة تختلف بحسب تواجدنا في فلسطين أو في خارجها. ففي الداخل، ينبغي لنا أن نساند الناس. أما في الخارج، فإن من الواجب علينا أن نشرح كثيراً من الأمور بشأن بلدنا فلسطين. ومهما يكن من شيء، فإني فخور بالثراء الثقافي الذي يتميز به بلدي والذي أستطيع أن أبيّنه للعالم أجمع.

إينجبورج براتلاند: في الخارج، لا تُذكَر فلسطين إلا من منظور الحرب؛ غير أن ما يثير السعادة هو أن هذا البلد لا يخلو من الموسيقى وأن فيه حياة حقيقية. وأعتقد شخصياً، باعتباري موسيقية تقليدية من النرويج، أن من الضروري أن يكون هناك شبان يتابعون التقاليد الموسيقية للبلاد، وأن من الواجب أن تظل هذه التقاليد مستمرة.

ميرلين توالفهوفن: باعتباري فناناً، فإني أريد بث التشويش والقضاء على المظاهر. فالناس تواقون إلى تعريف العالم الذي يحيط بهم، وإلى تصنيف كل شي، بحيث يكون من الصعب بمكان حثهم على رؤية الأمور بطريقة مختلفة. ومن ثم، ينبغي إشاعة التشويش في أفكارهم لكي يستقر في أذهانهم أن التصنيفات التي يضعونها ليس لها وجود دائم وثابت وأن عليهم استقصاء ما وراء المظاهر.

ولقد حالفني الحظ وتمكنت من الذهاب إلى أماكن أخّاذة، ولكني أسعى إلى إتاحة الفرصة للآخرين لأن يحذوا حذوي. وعندما أزور سوريا، فإن اكتسب من هذه الزيارات خبرة رائعة، ولكني أحاول جهدي، من خلال مشروعاتي، أن أحث الغربيين على الإلمام بما أقوم به من أنشطة. إنني أود أن يشاركني الآخرون الرغبة في التعرف على الغير، لأني لا أريد أن أحتفظ بهذه الأفكار لنفسي وأعيش وحيداً في عزلة عن الغير.

إنني ألتقي، في هولندا، بكثير من الفنانين الذين تسيطر على فكرهم جودة أعمالهم الموسيقية، دون أن يتساءل معظمهم إذا كان يمكن لهم الاستناد إلى هذه الأعمال في تشييد عالم أفضل. وبفضل اليونسكو، فقد التقيت أناساً لا يتوافر لديهم فكر فني فحسب، وإنما يتصورون أيضاً ما هي مكانة الفن في العالم وما هي التغييرات التي يحدثها فيه.

كيف تنظر إلى المستقبل القريب بعد حصولك على هذا التكريم من اليونسكو؟

ميرلين توالفهوفن: إن اللقب الذي منحتنا إياه اليونسكو يمثل أهمية بالغة بالنسبة لي، لأني أعمل خارج قاعات الاحتفالات الموسيقية والمهرجانات وبرامج الأوكسترا: فالواقع أني أمارس أنشطتي مع فريق صغير أو مع متعاونين مستقلين، وذلك بالاعتماد على ميزانية ضئيلة جداً. وفي بعض الأحيان، أجذب انتباه وسائل الإعلام، لما في ذلك من أهمية؛ ولكن بالنظر إلى أن عملي لا يندرج في البني الأساسية الثقافية، فمن الصعب تصنيفه، وهو ما يحول دون الحصول على الدعم اللازم والشراكات الضرورية. أما إذا ما تمكنا من تخطي هذه العقبات وتم الاعتراف بجدوى ما نقوم به، فإن ذلك سيكون من شأنه أن يضفي مزيداً من الوضوح على أنشطتي ويسهم في تحقيق نجاحها. كما آمل أن أتمكن، خلال السنوات المقبلة، من متابعة المشروعات التي شرعت في تنفيذها، مثل مشروع «مهرجان القدس تحت الأرض»، في القدس الشرقية. ولكن هذا المشروع لم يتجاوز بعد مرحلة التنفيذ الأولى.

بيتي شامية: إن تكريم اليونسكو لأنشطتنا إنما يكتسب أهمية بالغة بالنسبة لي. فهذه هي المرة الأولى التي أشعر فيها بالاعتراف بانتمائي

اليونسكو تكرّم مجموعة من الفنانين الشباب

«فنانون شباب من أجل الحوار بين ثقافات العالم العربي والغرب»، هذا هو اللقب الذي منحته المديرة العامة لليونسكو، إيرينا بوكوفا، في نيسان/ أبريل الماضي، إلى مجموعة من الفنانين الشباب تقل أعمارهم عن ٣٥ سنة. وقد مُنح هؤلاء الشباب هذا اللقب تقديراً للمساهمة الاستثنائية التي يقدمونها من أجل تعزيز الحوار والتبادل بين ثقافات العالم العربي والغرب.

أما الفنانون الذين تم تكريمهم فهم:

روتي سيلا وميان أمير (إسرائيل): فنانتان تعملان في مجال الإبداع والصون، أعدتا مشروعاً بعنوان «خارج الحدود (Exterritory)» يرمي إلى الجمع بين فنانين ومفكرين يعيشون في مناطق نزاع، ولاسيما في إسرائيل وفلسطين.

سيدي العربي شرقاوي (بلجيكا/ المغرب): راقص ومصمم رقصات أعدّ أعمالاً فنية تتناول موضوعي التلاقي بين الثقافات واستكشاف الهوية.

فيديريكو فيروني (إيطاليا): مخرج أنتج عدة أفلام عن الهجرة وضواحي المدن ومساهمة الجاليات الأجنبية في ثقافة البلد المضيف.

فائزة غوين (فرنسا/ الجزائر): روائية اشتهرت بأعمالها التي تتناول فيها واقع المغربيين الساكنين في ضواحي المدن الفرنسية، مندة بالأفكار والتصورات النمطية المسبقة.

جاي آر (فرنسا): مصور أعدّ العديد من المشاريع منها مشروع «وجهاً لوجه (Face٢Face)» الذي يقدم صوراً لإسرائيليين وفلسطينيين على جانبي الجدار الفاصل.

إبراهيم معلوف (لبنان): عازف إيقاع يمزج في أعماله ما بين الأسلوب الغربي والشرقي، ويتعاون مع فنانين من شتى أرجاء العالم.

فرقة «مسار إجباري» (مصر): مجموعة من الغنائيين تضم فنانين أطلقوا مشروعاً بعنوان «الموسيقى كوسيلة للحوار بين الثقافات» يتمثل في دعوة فنانين غربيين لتنظيم حفلات موسيقية مشتركة.

بيتي شامية (الولايات المتحدة/ الأراضي الفلسطينية المحتلة): كاتبة مسرحية لها عدد من الأعمال التي تركز على العلاقات بين الثقافات، ولاسيما العلاقات العربية الأمريكية.

زحل سلطان (العراق): عازفة بيانو أسست عن عمر ١٧ عاماً «فرقة الأوركسترا الشبابية الوطنية العراقية» التي تتعاون مع العديد من الفنانين الغربيين.

«مواهب ٢٠٠٨»: مشروع يضم تسعة فنانين شباب متخصصين في الموسيقى التقليدية وينتمون إلى بلدان أوروبية وعربية (الأراضي الفلسطينية المحتلة ومصر والنرويج).

ميرلين توالفهوفن (هولندا): ملحن وموسيقي أطلق في الأردن والأراضي الفلسطينية المحتلة وسوريا وهولندا مشاريع استثنائية تمثل فيها الموسيقى رابطاً بين الشعوب وتصبح بالتالي رمزاً للسلام.

صورة جماعية في اليونسكو، خلال حفل تسليم اللقب «فنانون شباب من أجل الحوار بين ثقافات العالم العربي والغرب» ١٣ نيسان/أبريل ٢٠١١.

© اليونسكو/ ميشيل رافاسارد

إمام، وقس وحاخام في لعبة الصداقة، في إطار «مشروع وجها لوجه»، إخراج ج.ر. وماركو في عام ٢٠٠٧ ،حيث غطيا الجدران بلوحات لاسرائيليين وفلسطينيين بنفس التعابير.

© بترخيص كريم من طرف JR: jr-art.net

إلى ثقافتين، الفلسطينية والأمريكية: فلقد أدركت اليونسكو هذه الهوية التي تمتزج فيها الجوانب وتتعقد. وفيما يخصني، فإني سأواصل بناء شخصيتي كفنانة، ولكني أود أيضاً متابعة الجهود التي بذلها الراحل جوليانو مير خميس [ممثل إسرائيلي ومدير «مسرح الحرية»، اغتيل في ٤ نيسان/ أبريل ٢٠١١] الذي أنجز عملاً رائعاً في مدينة جنين. فالواجب علينا ألا نجعل الخوف من العنف يمنعنا من الاستمرار في عملنا والتطلع إلى المستقبل الذي يستحقه العالم أجمع.

إينجبورج براتلاند: لطالما أحببت زيارة بلدان أخرى واكتشاف الموسيقى التقليدية فيها. فهذا النوع من الموسيقى إنما يُعتبر من أنجع الوسائل لاكتشاف ثقافات الغير، بل إنه يفوق الموسيقى الكلاسيكية أهميةً، رغم أن تلك الأخيرة تبلغ قدراً كبيراً من العالمية. ولما كنا قد ذهبنا إلى مصر وإلى النرويج لعرض مشروع «مواهب ٢٠٠٨»، فسيكون من أسباب السعادة أيضاً أن نزور فلسطين لنقيم فيها حفلات موسيقية !

مجد شاهين: فيما يخصني، فإني سأواصل مسيرتي كموسيقي شعبي فلسطيني، وذلك في بلدي وخارجها. فاللقب الذي منحتني إياه اليونسكو يُشجعني على المضي قُدماً باعتباري موسيقياً. ولقد كان من أسباب سعادتي أن ألتقي أناساً يتفهمونني ويقدروني حق قدري. وعندما نرى أن هناك أناساً في جميع أرجاء العالم يشاركوننا نفس الأفكار، فإن شعورنا بالوحدة والعزلة يقل إلى حد بعيد. ■

إيريس جوليا بوهرل، البالغة من العمر ٢٩ عاماً، هي متخصصة في تاريخ الفن الألماني وكذلك في الأدب المقارن.

سلم بروفيدنسيا فافيلا دا مورو، ريو دي جانيرو، البرازيل، مع تغطية صورة من انتاج JR لامرأة في اطار مشروعه «النساء البطلات»، آب/أغسطس ٢٠٠٨.

© بترخيص كريم من طرف JR: jr-art.net

JR، الفن والمستحيل

JR، صاحب الصور الفوتوغرافية الموضِّحة لهذا المقال، هو من الفنانين الشباب المنتمين إلى اليونسكو. وقد صرّح فنّان التجميل الحضري « artiviste urbain » ، هذا الفرنسي البالغ ٢٨ عاما من العمر، أنه يمتلك أكبر صالة عرض في العالم: ألا وهي الشارع!

في عام ٢٠٠١، بدأ JR يلصق في الخفاء على الواجهات الباريسية نُسَخ ما يلتقطه من صور فوتوغرافية لرفاقه وهم يرسمون خَرْبَشات على السطوح. وسرعان ما تنوعت مواضيع ملصقاته وكبرت أبعادها، حتى إنها بلغت قياس ٦م x ٨م في عام ٢٠٠٤، في مشروعه Portrait d'une génération (رسم صورة لجيل) الذي شهره. وفي تلك السنة، أقام معرضا في شوارع نيويورك، ولوس أنجِلِس، وباريس، و... شوارع سيته دي بوسكيه أ مونتفِرمايّ، إحدى الضواحي الباريسية المحرومة.

وفي آذار/مارس ٢٠٠٧، حقق بالتعاون مع ماركو المعرض Face ٢ Face (وجها لوجه)، «أكبر معرض غير قانوني أُقيم للصور الفوتوغرافية». وشوهدت فيه صور لإسرائيليين وفلسطينيين يزاولون نفس المهنة، ملصقة بمقاييس عملاقية على جانبي جدار الفصل، وفي شوارع عدة مدن داخل إسرائيل والأراضي الفلسطينية المحتلة. ومما قاله JR في ٢ آذار/مارس ٢٠١١، بمناسبة تسلّمه جائزة المؤتمر TED (Technology, Entertainment, Design) في لونغ بيتش، الولايات المتحدة الأمريكية (www.tedprize.org): لقد بيّن معرض وجها لوجه أن ما كنّا نخاله مستحيلا هو ممكن لا بل سهل.

وكان مشروعه Women Are Heroes (نساء بطلات) قاده في عامي ٢٠٠٨ و٢٠٠٩ إلى كينيا والبرازيل والهند وكمبوديا. وفي ربيع ٢٠١١ هرع إلى تونس لكي يُلبس بصوره مخافر الشرطة ومقارّ الأحزاب، في إطار مشروعه الحالي Inside Out (داخل خارج). لقد حقق، في غضون ١٠ سنوات، ما كنّا نخاله مستحيلا، وبأي سهولة!

ياسمينة سوبوفا

زوروا الموقع الرسمي للفنان JR: *www.jr-art.net*

باعتباري فناناً، فإني أريد بث التشويش والقضاء على المظاهر

ميرليين توالفهوفن

باتريمونيتو في توغو

© UNESCO

ولدت شخصية باتريمونيتو، حارس التراث الشاب، في الرسوم المتحركة في عام ١٩٩٥. ويقوم هذا الحارس، الذي يعتبر رمزاً للمتطوعين حُماة التراث العالمي، باصطحاب رفاقه الشباب إلى أفريقيا وأمريكا اللاتينية وآسيا وأوروبا. وينخرط الشباب المتطوعون في أنشطة صون وتعزيز المعالم الرمزية للتراث العالمي، وذلك في إطار التنسيق مع مركز التراث العالمي ومع لجنة التنسيق الدولية للخدمة التطوعية (CCSVI).

كاترينا ماركيلوفا، رسالة اليونسكو

لو كان لأبنية «تاتا» التراثية ذات المائة عام أذرعاً لكانت فتحتها للترحيب بهؤلاء الشباب كما ترحب الجدات بأحفادهنّ. فمنذ أربع سنوات، تواعد متطوعون توغوليون وفرنسيون وسويديون ويابانيون وكوريون جنوبيون للالتقاء في كوتاماكو، وهو موقع للتراث العالمي في شمال شرقي توغو، لرعاية هذه الأبنية العتيقة والهشة.

وعلى الرغم من أن أبنية «تاتا»، التي تمثل مساكن تقليدية من الطين تعتليها أبراج صغيرة، تجسد على ما يبدو كل الحكمة المنبثقة عن شعب باتاماريبا، إلا أن هذا الأمر لم يشفع لها من التعرض لخطر الزوال فها هي تتداعى تحت وطأة التحديث الذي يفرض قوانينه في البناء السهل والسريع. والطبيعة هي الأخرى لا ترحم هذه الأبنية، إذ إنها تترك وراءها مشهداً محزناً من المنازل المنهارة بعد انتهاء موسم الأمطار في شهري آب/أغسطس وأيلول/سبتمبر. وحتى شجرة «النيريه»، التي يستخدم لحاؤها في إعداد مادة مستخلصة بالغلي تُطلى بها جدران أبنية «تاتا»، بدأت بالنفاد.

وكان هذا رأس الخيط الذي أمسك به المتطوعون الشباب إيذاناً بالعمل. فاقتداءً بهذه الشجرة، التي يعني اسمها الرمزي بلغة البمبارا «هذا جيد»، والتي تتغلغل جذورها في بعض الأحيان إلى عمق ٦٠ متراً بحثاً عن الماء لتغذية ثمارها وتقديمها للقطاف مشبعة بالعناصر الغذائية، قرر الشباب الغوص إلى عمق المشكلة والانطلاق من أصلها ونبعها. فهل هناك أفضل من أن تزرع شجرة توفر الغذاء للقرويين وتستخدم في الوقت نفسه كمادة عازلة تُطلى بها جدران أبنية «تاتا»؟

وتحت إشراف المنظمة التوغولية غير الحكومية FAGAD (الإخوة المزارعون والحرفيون من أجل التنمية)، وبدعم من مشروع باتريمونيتو ومن لجنة التنسيق الدولية للخدمة التطوعية (CCSVI)، قام المتطوعون الشباب حماة التراث العالمي بتحديد وزرع أنواع نباتية مختلفة معرضة للخطر، تُستخدم في تشييد أبنية «تاتا». وهكذا وفي غضون عامين، تمت زراعة ١٠٥٠ شجرة جديدة في الموقع على مساحة ٢٠٠٠ م٢. وهذه خطوة أولى نحو تهيئة الظروف الضرورية لترميم أبنية «تاتا» بالوسائل التقليدية.

ولكن في إطار الفعاليات التي تتخطى الجوانب المادية لثقافة تامبيرما، وهو اسم آخر لباتاماريبا، سعى المتطوعون إلى المشاركة في الحفاظ على جوانبها غير المادية، وذلك بالتشارك مع مهرجان تامبيرما الأول الذي أقيم في الفترة من ٢٦ إلى ٣٠ آذار/مارس ٢٠١١. ويقول عاطي تاتا، وهو شاب توغولي يبلغ من العمر ٢٣ عاماً، مسؤول عن مخيم استضاف هذا العام سبعة متطوعين: «هذه هي المرة الأولى التي يقام فيها مهرجان فيستامبر. وكنا متشوقين جداً لفكرة المشاركة في هذه المبادرة الجديدة التي تسلط الضوء على ثراء ثقافتنا ولغاتنا وعالمنا الحرفي ومنتجاتنا المحلية الزراعية والغذائية». وتمثل هذه العناصر التراثية ثروة تضاف إلى أبنية «تاتا» التقليدية لتجعل من توغو محطة لا بد التوقف عندها في مسار السياحة الثقافية في غرب أفريقيا. وتضيف ليندا غوستافسون، وهي متطوعة سويدية تبلغ من العمر ٢٤ عاماً: «بالنسبة للأشخاص الذين لا يعرفون شيئاً عن هذه الثقافة، وهذه كانت حالتي، يعتبر هذا المهرجان وسيلة ممتازة ليزج المرء نفسه في خضم تلك الثقافة في وقت لا يتجاوز الأسبوع الواحد. وآمل حقاً أن يستمر، لأنه يعطي أيضاً فرصة جيدة جداً للتامبيرما أنفسهم، ليخرجوا بنظرة جديدة تضفي قيمة أكبر على ثراء موقع كوتاماكو».

وبالرغم من أن الشباب كانوا يقيمون في أديتا التي تبعد عن كوكاماكو بمسافة تقارب ٤٠٠ كم، إلا أن هذا الأمر لم يقعدهم عن المساهمة في إعداد المهرجان. وقد تدبروا أمرهم قدر الإمكان بالرغم من عدم وجود سيارة مخصصة لهم في إطار عملهم. ويقول عاطي في هذا السياق: «يمكنك أن تأخذ سيارة أجرة أو أن تركب حافلة أو دراجة نارية، وذلك يعتمد على حالة الطريق». أما المشروع فيبدو أنه مازال بالفعل غير مستقر، وأضافت ليندا في هذا الصدد: «كان علينا المساعدة في التحضير للمهرجان، ولكن عندما وصلنا إلى ساحة العمل، لم يبق هناك لنا الكثير لنفعله ...». ولكن مع أن الأمور تنطلق ببطء، فما يهم هو الرغبة في الاكتشاف وخصوصاً في المشاركة.

عاطي تاتا في كوتاماكو (توغو)

© الحقوق محفوظة

* اللجنة الدولية لتنسيق الخدمات الطوعية

عجائب من الإبداع

يقدم العمل التطوعي إلى الشباب إمكانيات كبيرة. فإذا أعطيتم الشباب أمثلة يحتذون بها، وفتحتم أمامهم آفاقاً جديدة، جنيتم منهم عجائب من الإبداع. خذوا الشباب على محمل الجد، وأسندوا إليهم مسؤوليات وأعطوهم مكاناً في المجتمع مبنياً على الثقة، فيتفوقوا.

يمنح العمل التطوعي الشباب القدرة على الفعل والتغيير في العالم من حولهم. في عام ٢٠١٠، حشد برنامج متطوعو الأمم المتحدة المنتشر في ١٣٢ بلدا، حوالى ثمانية آلاف شخص من ١٥٨بلدا. كما انه حشد أكثر من ١٠٠٠٠ متطوع ساهموا في التنمية عن طريق خدمة التطوع عن طريق الإنترنت. حوالي ٦٢ ٪ من هؤلاء من البلدان والتنمية، و٨٠ ٪ من شباب تتراوح أعمارهم بين ١٨ إلى ٣٥سنة. العام ٢٠١١ يصادف الاحتفال بالذكرى العاشرة للسنة الدولية للمتطوعين. بل هو أيضا السنة الأوروبية للعمل التطوعي. انها فرصة اضافية للشباب وحقهم في المشاركة المواطنية، وتكثيف الجهود الرامية إلى بناء عالم أفضل. ■

البرنامج التطوعي للأمم المتحدة : http://www.unv.org

افتتاح المسابقة الكشفية العالمية الثالثة عشر، كينيا، ٢٧ تموز/يوليو ٢٠١٠.

©WSB Inc / فكتور أورتيغ

الكشاف الكيني جوزيفا جيتونغا

يأخذ الكشاف الكيني جوزيفا جيتونغا البالغ من العمر ٢٨ عاماً خدمته في المجتمع المحلي على محمل الجد، بل إنه جعل منها حتى «واجباً مقدساً تقريباً»، مما لفت انتباه جمعية كشافة كينيا التي كلفته بإدارة المركز الكشفي في مدينته إمبو الواقعة على بعد ١٢٠ كم إلى شمال شرقي نيروبي. ويخوض جوزيفا غمار العمل بحماس وتفانٍ، محققاً الأهداف بنسبة ٢٠٠٪! وبدعم من زملائه النرويجيين، ينجح في تحويل المركز الكشفي إلى مركز منفتح على المجتمع المحلي يستند في تمويله إلى مبدأ الاكتفاء الذاتي من خلال مشروع صغير في مجال الفنادق والمطاعم يساهم أيضاً في استحداث فرص العمل.

وكان من المقرر في البداية أن يستقبل المركز أنشطة الكشافة فقط بشكل متقطع. ولكن جوزيفا يحلم بتحويل إمبو إلى قرية عالمية. ولم يعقد الكشافة العالميون البتة اجتماعاتهم حتى الآن في أفريقيا – وهي تجمعات كبيرة للكشافة من فئة الكبار (١٨-٢٥ سنة). ولذا فقد حان الوقت للتحرك.

وإذ استقوى جوزيفا جيتونغا بهذه التجربة التي جعلته معروفاً حتى في أوساط كشافة آسيا وأميركا اللاتينية، استطاع بسرعة إقناع جمعية كشافة كينيا بتقديم ترشيح مدينته لتصبح من بين المواقع الكينية الثلاثة التي استضافت التجمع الكشفي العالمي الثالث عشر (٢٧ تموز/يوليو – ٧ آب/أغسطس ٢٠١٠). وبذلك أصبح الحلم حقيقة واقعة، فقد ورد أكثر من ١٠٠٠ شاب من مواطني العالم إلى مدينة إمبو التي لولا جهوده لم تكن لترى هذا العدد الكبير من الصداقات التي تُعقد ولا هذا الكم من الضحك والأخوة، وكذلك من المناقشات التي دارت حول التحديات الكبيرة في عصرنا الراهن. ■

بيار أرلو، طالب سويسري، مسؤول عن العلاقات الخارجية لمنظمة الحركة الكشفية.
worldbureau@scout.org

بناء مواطَنتي. هكذا أعرّف تجربتي كمتطوع في الأمم المتحدة، فقد شاركت مؤخراً في الحملة المعنونة «كلنا متحدون من أجل وضع حد للعنف ضد المرأة»، والتي أطلقها الأمين العام للأمم المتحدة. وشاركت في إنشاء حلقات نقاش على العديد من الشبكات الاجتماعية لتوعية الشعب البوليفي بشأن هذه المشكلة الخطيرة. وأحد الدروس التي أستخلصها من هذه التجربة الأخيرة التي استمرت ستة أشهر هو الدافع الكبير والمهنية القصوى للشباب المتطوعين. فنحن شباب مهنيون طامعون بالتعلم وبتقديم مساهمتنا في بناء صرح العدالة الاجتماعية.

والعمل الطوعي هو أفضل أداة لتوجيه النزعة المثالية وضبط الطاقة عند الشباب. وعلى الرغم من المظاهر، فإن افتقارنا إلى الخبرة نظراً إلى عمرنا عائق يسهل تجاوزه. فالمشاركة المواطنية من خلال العمل التطوعي يمكن أن تكون، فضلاً عن فائدتها الاجتماعية القيّمة، وسيلة بالنسبة لنا نحن الشباب لاكتساب خبرة أولى في المبادئ الأخلاقية التي تستند إليها كرامة الأفراد والمجتمعات. ويتيح لنا هذا الشكل من المشاركة تعزيز مكانتنا كعامل من عوامل التنمية، وليس كمجموعة ضعيفة. ■

سيلفيا بيلون، طالبة إسبانية تبلغ من العمر ٢٣ عاماً.

الرياضة: مجرد نقطة انطلاق

فيما كان كبار نجوم الرياضة يتنافسون في جوهانسبرغ (جنوب أفريقيا) في مباريات بطولة كأس العالم ٢٠١٠ التي نظمها الاتحاد الدولي لكرة القدم، شارك ٣٢ فريقاً من الشباب أتوا من جميع مناطق العالم في مباراة من نوع غير معتاد أطلق عليها اسم: «مهرجان كرة القدم من أجل الأمل ٢٠١٠».

وخلال خمسة عشر يوماً، جمع هذا المهرجان، الذي شارك في تنظيمه الاتحاد الدولي لكرة القدم، ومنظمة «عالم كرة قدم الشارع» (streetfootballword)، واللجنة المنظمة لكأس العالم ٢٠١٠ بجنوب أفريقيا ، وسلطات مدينة جوهانسبرغ، أكثر من ٢٥٠ فتى وفتاة ينتمون إلى مجتمعات محرومة تقع في قرى صغيرة في كامبوديا، وفي الأحياء الشعبية بالولايات المتحدة، وكذلك في الأحياء العشوائية في الهند والأحياء الفقيرة في ريو دي جانيرو. وقد تلاقى هؤلاء الفتية والفتيات، وقد سادت بينهم روح الرياضة، متجاوزين الحواجز الثقافية. كما أنهم وسّعوا آفاق مداركهم واكتسبوا الثقة بقدراتهم الشخصية، وهو ما كان ضرورياً لكي يعودوا إلى بلدانهم الأصلية، ليس لتسيير حياتهم بأنفسهم فحسب، وإنما أيضاً من أجل تحديد مصير مجتمعاتهم.

إن تمكين الشباب المحروم من تحسين أوضاعهم إنما يمثل الهدف الذي ترمي إلى تحقيقه شبكة منظمة «عالم كرة القدم الشارع» (streetfootballword) التي تضم أكثر من ٨٠ منظمة. ومن خلال الأنشطة الرامية إلى مكافحة آفات شتى، مثل فيروس ومرض الإيدز، والجرائم، أو إلى التصدي لمشكلة المشردين، فإن هذه المنظمات تستخدم مباريات كرة القدم لدمج الشباب في برامج للتنمية الاجتماعية وللإبقاء عليهم فيها. وتسعى هذه المنظمة، بالتعاون مع شركائها، للوصول إلى ٢ مليون شاب سنوياً في جميع أنحاء العالم بحلول عام ٢٠١٥.

وجدير بالذكر أن مباريات كرة القدم يمكن أن تساعد على إيجاد حلول لكثير من المشكلات التي تبلغ من التعقيد حداً يجعل من المستحيل اللجوء إلى حلها بالأساليب التقليدية. فالألعاب ليست إلا نقطة الانطلاق. ■

www.streetfootballworld.org

© قصص كرة القدم الخفية – بيتر بيتش

الألعاب الأولمبية للشباب

تصادف السنة الدولية للشباب إرساء تقاليد أولمبية جديدة. ففي شهر آب/ أغسطس ٢٠١٠، وبعد مرور عدة أيام فقط على إعلان الأمم المتحدة سنة ٢٠١٠ سنة دولية للشباب، افتتحت اللجنة الأولمبية الدولية* الألعاب الأولمبية للشباب. وتجمع هذه الألعاب بين الرياضة والأنشطة التعليمية والثقافية في صيغة واحدة تخص الشباب الذين تتراوح أعمارهم بين ١٥ و١٨ عاماً. وتوفر هذه الألعاب الجديدة للشباب محيطاً من شأنه تشجيع إقامة صداقات على المدى الطويل، كما أنها تتيح لهم الاستفادة من خبرات أقرانهم ومن تلك التي يتمتع بها الأبطال الرياضيون الذين يمثلون قدوة لهم.

وقد جذبت الدورة الأولى للألعاب الأولمبية للشباب، التي نُظمت في سنغافورة في عام ٢٠١٠، نحو ٣٥٠٠ من شباب العالم أجمع؛ وفاقت نتائجها جميع التوقعات. كما أُتيحت للمشاركين الشبان فرصة تقييم هذه التجربة أثناء المؤتمر العالمي السابع للتربية والرياضة من أجل ثقافة السلام الذي انعقد في كانون الأول/ ديسمبر ٢٠١٠، في مدينة دوربان (جنوب أفريقيا)، والذي شاركت في رعايته اللجنة الأولمبية الدولية واليونسكو.

ووفقاً لموضوع المؤتمر، وهو «إسماع صوت الشباب»، شارك مراهقون بنشاط في الاجتماعات، كما حث المندوبون اللجنة الأولمبية الدولية على الإبقاء على روح الألعاب الأولمبية للشباب أثناء الفترات التي تفصل بين دورات الألعاب.

وتسود هذه الروح الآن في مدينة انزبروك (النمسا)، حيث بدأ العد التنازلي لتنظيم الدورة الأولى للألعاب الأولمبية الشتوية التي ستقام في عام ٢٠١٢. وبالتزامن مع ذلك، تتولى سلطات مدينة «نانجينغ» الصينية تحضير الدورة الثانية للألعاب الأولمبية الصيفية للشباب التي ستقام في عام ٢٠١٤. ■

اللجنة الدولية الأولمبية
www.olympic.org

* حصلت اللجنة الأولمبية الدولية، في نهاية عام ٢٠٠٩، على صفة مراقب رسمي لدى منظمة الأمم المتحدة.

نجوم في ضوء القمر

أفريقيا، البطالة، الأحياء الفقيرة: خليط مميت يسوق مراهقات أوغنديات سوْقاً لا يُقاوَم إلى ممارسة الدعارة وتحطيم مستقبلهن. ومع ذلك، فإن مجموعة من الشباب قررت أن تأخذ على عاتقها التصدي لهذه الأوضاع.

بقلم كارول ناتوكوندا

إن حي «كاويمبي»، الواقع في كمبالا (أوغندا)، كما يبدو عن بُعد، هو حيّ مملوء عن آخره بأكواخ ذات جدران من الطين والصفائح، مثله في ذلك مثل جميع الأحياء الفقيرة. ومع ذلك، فإذا ما اقتربنا منه، أحسسنا بشيء آخر يتمثل في مظاهر الأمراض واليأس التي تخيم على هذا المكان، كما لو كانت ملَك الموت. والأطفال هناك يلقون على الزائر العابر نظرات قد يشوبها شيء من القلق، ولكنهم سرعان ما يجترئون على معاودة ألعابهم حيثما أمكنهم اللعب. ومن الواضح أن هؤلاء الأطفال لم يستخدموا البتة في حياتهم معجون أسنان، ولكن ليس لذلك أهمية تُذكر. ثم أن أصواتهم المزعجة تتردد أصداؤها إلى مدى بعيد حتى الطريق التي تمتد عِبر المستنقعات المتراكمة. فهذا هو الطابع الذي يميز حي «كاويمبي»: فهو حي من الأحياء الفقيرة التي نشأت في منطقة رطبة، حيث يعيش معظم سكانها في ظروف لا تتيح لهم ضمان الحصول على ما يسد رمقهم.

إن ارتفاع معدلات البطالة، والدخول الزهيدة، والاعتماد، بشكل كامل، على من في مقدورهم كسب عيشهم، فضلاً عن معدلات الفقر الآخذة في الارتفاع بوتيرة مسرعة، وصعوبة دفع نفقات الخدمات الصحية، كل هذه الأمور وضعت النساء أمام خيار وحيد، ألا وهو اللجوء إلى بيع أجسادهن. ذلك هو الواقع الذي هزّ، قبل عدة سنوات مضت، مشاعر جيمس توموسييم، الخبير النفساني الشاب الذي يبلغ من العمر ٣٠ سنة. وقد كان هذا الخبير النفساني، حديث التخرج، يعمل بلا مقابل في عيادة تقع في أحد الأحياء الفقيرة في «كاويمبي»؛ وذات يوم، استقبل أُماً يبلغ عمرها ١٩ سنة. ويحكي جيمس: « قالت لي هذه الأم، التي بدت عليها علامات الهزال والضعف، إن أطفالها يقعون فريسة للمرض بشكل دائم. وتعتقد أن ما يصيبهم هو مرض الملاريا. وعندئذ نصحتها بأن تخضع لاختبار وتشخيص فيروس نقص المناعة البشرية».

ثم صمت جيمس فجأة؛ ودام صمته فترة طويلة حتى خشيت أن تتوقف المقابلة عند هذا الحد. ولكنه أضاف أخيراً: «عندما علمتُ أن نتيجة الاختبار إيجابية، شعرت بأسى شديد. فقد أخذت هذه السيدة تبكي بكاءً مراً ينفطر له القلب حزناً. وقلت لها إنه ينبغي ألا تفقد الأمل. ولكني لم أرها بعد ذلك. وقد حاولت، دون جدوى، الاتصال بها عبر هاتفها النقال... وتمنيت من كل قلبي ألا تكون قد أنهت حياتها منتحرةً». وحتى الآن، ينقبض وجه جيمس حزناً عندما يذكر لقائه معها.

إن هذا الحدث كان بمثابة الدافع الذي جعل الخبير النفساني الشاب جيمس توموسييم يقرر، مع سبعة أشخاص، «كسْر الجليد» ومدّ يد العون للأمهات العازبات الضعيفات اللاتي يعشن في هذه المنطقة، ولا يتوافر لمعظمهن وسيلة للعيش سوى ممارسة الدعارة، وذلك رغم أن الدستور الأوغندي يحظر مثل هذا النوع من الممارسات.

قيام المشروع

يقول شاب آخر، طلب عدم الكشف عن اسمه، كان يعمل كمساعد اجتماعي، أن جيمس توموسييم اتصل به في هذا الشأن. ويقول هذا الشاب: «كان هناك برنامج لرابطة«Plan UK» الخيرية، التي لم تكن تُعنى إلا بالأطفال. ونظراً لعدم استطاعة الأطفال، الذين نلتقي بهم، أن يدلونا على آبائهم، بات لزاماً علينا أن ننشئ مشروعاً يتوجه لمن يمارسون الدعارة ويتيح لهم الاضطلاع بمسؤولياتهم تجاه أطفالهم». ويروي لنا شاب آخر، يقارب هذا المساعد الاجتماعي في السن، قصصاً يتفتت لها القلب عن عاهرات يتعاركن للحصول على نفس «الزبائن». ويضيف أن شقيقته قد تعرضت لاعتداء من عاهرة اعتقدت أنها تنافسها.

ويضيف جيمس توموسييم، قائلاً: «إني أتذكر اليوم الذي أطلقنا فيه مشروع «كسْر الجليد». فقد أمضينا في هذه المنطقة ليل نهار لمدة أسبوع، وذلك لكي نرى بأم أعيننا حقيقة ما يجري هناك. وكان من أكثر الأمور إيلاماً أن نرى رجال شرطة يسعون إلى ممارسة الجنس مع الفتيات. وهو ما حفزنا على العمل من أجل تغيير هذه الأوضاع المزرية. كما أننا لاحظنا أن هناك العديد من الأمهات المراهقات اللاتي يجهلن من هم آباء أطفالهن. وكان سن البعض منهن لا يتجاوز ١٣ عاماً. وبعضهن كن ما زلن تلميذات، بينما يعمل البعض الآخر كخادمات.

وفي عام ٢٠٠٧، انطلق مشروع «كسْر الجليد». وفي هذا الصدد، يقول جيمس توموسييم، منسق المشروع: « لقد بدأنا بالتعامل مع مجموعة تضم نحو عشر أمهات قابلناهن، وعرفنا منهن أنهن يمارسن الدعارة. ثم طلبنا منهن أن يدلوننا على فتيات أخريات يمارسن نفس المهنة. وتمثل غرضنا في تمكينهن من الوقاية من فيروس نقص المناعة البشرية والإيدز، ومن الإصابة بالأمراض الأخرى المنقولة جنسياً. وأخيراً، جمعنا ٦٠ أماً ودربناهن على أن يصرن أخصائيات للتربية. فالواقع أنه كان من السهل عليهن إسماع صوتهن، نظراً للخبرات التي توافرت لهن. وحتى الرجال الذين يمارسون الدعارة سيهتمون بنصائح امرأة تشرح لهم كيفية استخدام العوازل الذكرية أكثر من اهتمامهم بما يقوله رجل في هذا الشأن.

وابتداءً من عام ٢٠٠٩، ارتفع عدد من يمارسن الدعارة المستفيدات من هذا المشروع إلى ٣٠٠٠ فتاة. وذلك لأن المنظمة غير الحكومية المعنية بالصحة الإنجابية في أوغندا (Reproductive Health Uganda) أقامت، بدعم مالي من الحكومة اليابانية، عيادة «نجوم

© باتريك لاجيس

العزلة والظلام والنور، في مكان ما في أفريقيا

في ضوء القمر»، وهي عيادة توفر إرشادات بلا مقابل وتقدم خدمات مجانية في مجال اختبار وتشخيص فيروس نقص المناعة البشرية والإيدز والوقاية من الإصابة من الأمراض المنقولة جنسياً. ويقول جيمس في هذا الشأن: «لقد أطلقنا على الفتيات اللاتي نقوم بالعناية بهن اسم «نجوم في ضوء القمر»، لأننا لم نشأ تسميتهن باسم قد يجعل منهن فئات مهمشة». وتتسلم كل واحدة من هؤلاء الفتيات بطاقة اسمية، وذلك لمنع من ليس لهم حق الانتفاع بهذه الخدمات التزاحم على العيادة التي توفر وسائل مجانية للعناية الصحية.

الحاجة إلى جهات مانحة جديدة

تصرح فلورانس كييسوا، مديرة العيادة المذكورة، أنها تستقبل نحو ٧٠ فتاة كل أسبوع في المتوسط ينتمين إلى أحياء فقيرة في «كاويمبي»؛ ويعاني الكثير منهن من الأمراض المنقولة جنسياً. وقد تم استخدام المعونة المالية اليابانية أيضاً من أجل تدريب «النجوم» على أعمال الخياطة والطهي والحرف اليدوية والميكانيكية. وكما يقول جيمس، فإن هؤلاء المستفيدات ينقسمن إلى مجموعات تضم كل منها نحو عشرين فتاة، وتتسلم ما يعادل ٢٥٠٠ دولار تقريباً كرأس مال ابتدائي. وتروي الفتيات المستفيدات مشاعرهن إزاء وضعهن الجديد. مثال ذلك أن أُمّاً، عمرها ١٧ سنة، صارت تكسب قوت يومها من بيع شرائح «البان كيك»، تقول: «الآن، أستطيع، مع أطفالي، التغلب على مصاعب الحياة دون أن أضطر لممارسة الدعارة. فلقد استعدت الثقة بنفسي، وسأتمكن من مساعدة ابنتي على تحقيق انطلاقة جيدة في الحياة». وتقول أُمٌ أخرى، عمرها ٢١ سنة، مصابة بفيروس الإيدز: «كان الأمر قد انتهى بي إلى أن تمنيت الموت. إذ كنت أعيش في ظروف تكاد تسلبني كل يوم القدرة على مواجهة الغد. أما الآن، فقد تمكنت من الحصول على علاج لحالتي، وعلى ما يلزمني من عوازل ذكورية، فضلاً عن آلة خياطة، تضمن لي، إذا ما عملتُ أيام توفر العمل، دخلاً يقارب ٥ دولارات».

ولكن جيمس يرى أن ثمة مشكلات ما زالت قائمة: وهي أن بعضاً ممن كانوا يمارسون الدعارة تراودهم الرغبة في العودة إلى هذه الممارسات. كما أن المشروع يعتمد كلياً على المساعدات الخارجية؛ وبالنظر إلى أن أموال المساعدة اليابانية قد استنفدت، فإن «النجوم» يحاولن الحصول على دعم مالي من جهات مانحة أخرى. وتمكن المشروع من اجتذاب شركاء عديدين منهم صندوق الأمم المتحدة للسكان، الذي يعتبر أن ممارسي الدعارة يمثلون مجموعة شديدة التعرض للخطر جرّاء انتشار فيروس نقص المناعة البشرية، ويشدد على ضرورة العناية بهم على نحو أفضل. وفي هذا الصدد، يقول جيمس: «خلافاً للاعتقاد السائد، فإن فيروس نقص المناعة البشرية لا يصيب المتزوجين فحسب، وإنما ينتشر أيضاً بين من يمارسون الدعارة، وهم الذين يمثلون الفئة الأكثر تعرضاً للإهمال».

وثمة شركاء آخرون للمشروع، منهم «رابط تنمية الشباب في أوغندا»، وهي رابطة معنية بمساعدة أطفال الشوارع والشباب، وكذلك المنظمة الغير الحكومية «خرزات من أجل الحياة في أوغندا»، وهي منظمة تُعنى بتعليم النساء الأوغنديات صناعة الحُليّ باستخدام ورق معاد تصنيعه. وتقوم هاتان المنظمتان الآن بتوعية الشباب في جميع أرجاء البلاد من أجل أن يبنوا معاً حياتهم بأيديهم.

كارول ناتوكوندا، البالغة من العمر ٢٨ سنة، هي صحفية أوغندية حاصلة على جائزة تعليم الصحافة لعام ٢٠٠٨، التي تمنح من قبل جمعية تطوير التعليم في أفريقيا.

© الحقوق محفوظة

تعليم النسج للفتيات في مركز مجتمعي في كراتشي، باكستان.

إن المبادىء التي تؤمن بها خالدة بروهي تتجلى واضحةً في عينيها الفاتحتين وفي ابتسامتها الحارة والجذابة التي تتميز بها. ومع ذلك، فمن كان يظن أن هذه الفتاة اللطيفة الرقيقة، التي وُلدت في قبيلة تقطن أقاصي بلوشيستان، الإقليم الواقع جنوب غرب باكستان، استطاعت، وهي في سن السادسة عشر من عمرها، أن تكون من دعاة النضال ضد تقاليد بشعة وقديمة العهد؟

نوشان عباس تلتقي بلقاء مع خالدة بروهي

الشابة «سوغار»[1] من بلوشيستان

كانت البداية عندما علمت خالدة بروهي، التي تبلغ من العمر ٢٢ سنة، أن امرأة من مجتمعها وقعت ضحية جريمة شرف (كارو كاري) أودت بحياتها. ومعلوم أن جريمة الشرف إنما هي جريمة قتل، أو عمل من أشد أعمال العنف، يمارسه الرجال ضد نساء أسرهم عندما يُظن أنهن يمثلن عاراً يلحق الأسرة برمتها. ومن ثم فقد قررت خالدة، بعد أن روَّعها هذا الخبر، أن تناضل ضد هذه التقاليد المرذولة. ومن أجل ذلك، توقفت عن مواصلة دراساتها وتخلت عن الحرية الاستثنائية التي كانت تتمتع بها في مجتمع شديد التأثر بالأفكار الرجعية والنظم الأبوية. ولما كان من المستحيل عليها أن تناضل في هذا المجال على نحو مباشر، فقد أخذت في كتابة قصائد تدين فيها جريمة الشرف، وتطالب المنظمات الغير الحكومية بأن تتيح لها قراءتها أثناء التظاهرات. غير أنه في مجتمع متدين ومحافظ، حيث يستند كل شيء إلى مبادىء ثلاثة، ألا وهي: «زان» و«زار» و«زامين» (أي: النساء والذهب والأرض)، والتي تمثل الخيرات الكبرى الثلاث التي تشكل الشرف الذي يتمسك به الذكور، فإن محاولة حث قادة المجتمع المحلي على الفصل بين تقاليد الأجداد والممارسات الدينية قد ثبت أنها أمر أكثر خطورة مما كانت تتخيله هذه الفتاة.

وكما بيَّن آي. إيه. رحمن، رئيس اللجنة الباكستانية لحقوق الإنسان، فإن «جريمة الشرف كانت منتشرة، فيما مضى، في المناطق النائية من البلاد، ولكنها امتدت لتبلغ، في الوقت الراهن، المدن الكبرى، مثل كراتشي أو لاهور أو بيشاور، بل إنها تغلغلت في مناطق حضرية. إن ذلك يمثل مأساة حقيقية بالنسبة إلى النساء، ولاسيما أن هذه الجرائم لا يتم الإبلاغ عنها في جميع الأحيان، وذلك رغم أن القانون الخاص بالنساء، الصادر في عام ٢٠٠٦، يتيح الكشف عن هذه الممارسات. وجدير بالذكر أن هناك ما يقرب من ٨٠٠ إلى ١٠٠٠ جريمة قتل تُرتكب كل

(١) يعني هذا الاسم في اللغة المحلية امرأة تتمتع بخبرات وتثق بنفسها.

© الأمم المتحدة/جون اسحق

سنة. وقد يختلف هذا الرقم قليلاً من سنة إلى أخرى، ومع ذلك فإنه يُعتبر رقماً كبيراً».

ورغم كل العقبات، فإن خالدة أنشأت، في عام ٢٠٠٤، رابطة «المبادرة الإنمائية التشاركية»، وذلك من أجل الدفاع عن أفكار رائدة، مثل برنامج «صُغار» (انظر الهامش ١) الذي يكافح جرائم الشرف، عن طريق مساعدة نساء القبائل على اكتساب استقلالهن الاقتصادي.

وتؤكد خالدة على التأثير الحاسم للعوامل المالية بقولها: « لقد تحققت، على مرّ الأيام، من أن معظم هذه الجرائم تقع ضحيتها النساء اللاتي لا يعملن، وذلك لأن النساء اللاتي يوفرن دخلاً شهرياً تزداد قيمتهن في عيون أسرهن. وهؤلاء النساء يعرفن كيف يكون لهن صوت مسموع، ويسهمن في الحياة المنزلية والأسرية». ورغم ذلك، فإن خالدة تدرك أنه يتعين التأثير على العقليات؛ وتقول في هذا الصدد: «ثمة أسباب ثلاثة لجريمة الشرف: أولاً، السياسات الحكومية؛ ثانياً، تعرض النساء للاحتقار بصفة عامة؛ وأخيراً، استسلام النساء أنفسهن لمثل هذه العادات، وهو ما يمثل، في رأيها، السبب الرئيسي. وقبل أن تسعى خالدة لتغيير العقليات، فقد أثارت محاولاتها في هذا الشأن حفيظة أرباب الأسر. ومن ثم فقد أدركت أن حياتها معرضة للخطر، الأمر الذي اضطرها إلى النزوح عن منطقتها الأصلية.

صِدام التقاليد

تقول خالدة: «في عام ٢٠٠٨، أخبرني عمّي أنه لم يعد ممكناً أن أواصل نشاطي في هذا المجال، وأن ما أقوم به من شأنه تعريض حياتي للخطر. فلقد تلقى أعضاء الفريق العاملين معي رسائل تهديد موجهة لهم ولي شخصياً تتهمنا بالدفاع عن أفكار آتية من الغرب». وبالإضافة إلى ذلك، فإن مسؤولين دينيين دخلوا في حالة خصام مع عمّها، الذي يترأس إحدى القبائل. فقد استلم رسالة تهدده بالقضاء على خالدة. ومن ثم فقد سارع والدها بترحيلها إلى كراتشي حتى يمكن لها العيش في أمان واستكمال دراساته.

ومع ذلك، فإن خالدة لم تكن لترضى أن تتخلى عن قضية على هذا القدر من الأهمية. وتقول في هذا الصدد: «رغم أن كل شيء قد انتهى، فإني تساءلت عما إذا كنت قد ارتكبت خطأً ما. إنني احترم التقاليد، ولكني أدركت على الفور أن ما ينبغي القيام به إنما يتمثل في تعزيز التقاليد ذات الطابع الإيجابي والتي تسهم في وضع حد لجرائم الشرف. ومن ثم فقد أخذت، مع مجموعة من الأصدقاء، في توعية السكان المحليين، مع إشراكهم في تأييد مطالبنا».

وبعد أن اتخذنا إستراتيجية الحوار هذه، تعيّن على خالدة وأعضاء فريقها بذل مزيد من الجهد والمثابرة للتوصل إلى إحراز نتائج. وفي هذا الصدد، فإن خالدة، التي أخذت في تطويع التقاليد المحلية بحيث تتماشى مع توجهاتها، وفي مواجهة رؤساء القبائل، وهم الذين سبق لهم تهديدها، تقول: «لقد واصلنا الدفاع عن هذه القضية ذاتها التي تتعلق بوضع حد لجرائم الشرف، ولكن على نحو أقل شدة». وتضيف: « وفقاً لما تفرضه علينا ثقافتنا، فلا يصح مطلقاً طرد أحد من موطنه. فذلك مما لا ينبغي الإقدام عليه». ومن ثم فقد توجهت برفقة مجموعة من أتباعها إلى لقاء عضو من أعضاء المجلس البلدي، الذي لم يكن في وسعه إلا الاستماع لمطالبهم والإجابة عن الاستفسارات التي طرحها الشبان الأكثر تمسكاً بآرائهم. وتقول خالدة: « لقد تحدثنا معه باللغة المحلية، وشرحنا له أننا ننتوي تعزيز التقاليد الإقليمية، مثل فنون التطريز أو الموسيقى أو الشعر». وبعد ذلك، استجاب ثلاثة مسؤولين لدعوتنا، بل إن بعض الأئمة أخذوا في الدعوة لمناصرة حقوق المرأة، باسم الإسلام.

وبالإضافة إلى تعزيز التقاليد المحلية ذات الطابع الإيجابي بفضل ممارسة فنون التطريز التي تقوم رابطة «المبادرة الإنمائية التشاركية» بتسويقها، فإن مراكز «صُغار» تقدم للنساء الوسائل الكفيلة بتحقيق مكاسب مالية نسبية، علاوة على تنظيم أنشطة تدريبية ذات قيمة إضافية وتوفير تعليم أساسي في مجالات شتى، مثل الرياضيات والكتابة والقراءة والصحة التناسلية. وعلى هذا النحو، تتاح لخالدة فرصة للتوعية في مجال مكافحة جرائم الشرف. وتقول خالدة في هذا الشأن إن: «النساء يستسلمن إلى أبعد حد للخضوع للأوضاع السائدة، ولكننا نسعى إلى تغيير الأمور، عن طريق التذكير بحقوق المرأة المعترف بها في الإسلام... ومن ثم، فنحن على يقين من أن رسالتنا ستحظى بالقبول». ولما كانت خالدة على قناعة من أن استكانة النساء للعادات السارية في مجتمعاتهن إنما تمثل أول الأسباب المفضية إلى الاستمرار في ارتكاب هذه الجرائم، فإنها تستهدف توعية النساء، دون أن تكف عن مطالبة الرجال بمناصرتها. وبالإضافة إلى ذلك، فإن رابطة «المبادرة الإنمائية التشاركية»، التي تشمل العديد من الأدوات الإبداعية ـ مثل مباريات لعبة الكريكيت، والعروض المسرحية التفاعلية، والرسائل المقتضبة المرسلة عبر الهاتف أو الإنترنت، وإذاعات (FM)، والمعلومات النضالية، ووسائل التوعية الرقمية ـ ترمي إلى تعزيز حقوق المرأة، وذلك عن طريق تثقيف الرجال: فبعد الحصول على موافقة رؤساء القبائل، يتم تنظيم مناقشات في حضورهم تستند إلى الحجج الواردة في تعاليم الإسلام.

© مبادرة التنمية التشاركية PDI

خالدة بروهي (اليسار) مع بعض المستفيدين من برنامج «سوغار»

وإذا ما طُلِب من خالدة تقييم أنشطتها، فإنها تقول: « لقد ازداد عدد الفتيات المنضمات إلى فريقنا من ١٤ فتاة ليبلغ ٤٠ فتاة عضوة، كما أن هذا الفريق يشمل رجالاً ونساءً يعملون معاً. ويدل ذلك على أن الاتجاهات قد تغيرت. لقد بلغتني أخبار عن ارتكاب جرائم شرف في الأقاليم المجاورة، ولكن مجتمعنا لم يشهد مثل هذه الجرائم منذ ثلاث سنوات.

مثال للشجاعة

بالاستناد إلى مدّخراتها، وبفضل المساعدات المالية التي تقدمها شتى الرابطات، فإن خالدة تمكنت من إنشاء مراكز «صُغار» في العديد من مناطق بلوشيستان؛ كما أنها انضمت إلى عضوية «معهد أنريزونابل» (Unreasonable Institue)، وحصلت على «جائزة الأبطال الشبان»، وعلى منحة من برنامج المؤسسة الدولية للشباب (YouthActionNet). وبالإضافة إلى ذلك، فقد أطلقت صفحة على شبكة الفيسبوك تحت عنوان«حملة توعية ضد جرائم الشرف»، وهي صفحة ترمي إلى إبلاغ الأعضاء المنضمين لهذه الشبكة بالأحداث الجارية في هذا المجال، وتنشر المعلومات الأخرى ذات الصلة. ومع ذلك، فإن خالدة تدرك تمام الإدراك أنه رغم الدعم الذي تتلقاه من أسرتها، ومن العديد من المنظمات غير الحكومية الدولية وفريقها، فإن هناك معارضين متصلبين ينتقدون ما تقوم به من أنشطة دفاعاً عن مبادئها. وتقول في هذا الصدد: «إن هؤلاء المعارضين يشكلون أقلية في مجتمعنا. وهم لا يحركون ساكناً، ولكني أدرك أنهم يترقبون أي هفوة تصدر عنا. ولذلك فإني أبذل قصارى جهدي لكي لا نرتكب أخطاءً يحاسبوننا عليها».

وأيدت خالدة، عند توسيع نطاق أنشطتها الرامية إلى تحسين وضع المرأة، برنامجاً لتوزيع أراضٍ على الفلاحات المعدمات في إقليم السند، وهو البرنامج الذي طبقته حكومة بنزير بوتو. ولقد أطلقت رابطة «المبادرة الإنمائية التشاركية» برنامج «أراضٍ للنساء»، وقامت بمتابعة سيره. وعندما لاحظت هذه المنظمة الغير الحكومية أن ثمة مخالفات قد ارتكبت، طلبت من منظمة «أوكسام» أن تساعدها على إصلاح الأوضاع. وتم استخدام الإذاعة المحلية لشرح السياسة العقارية الجديدة المطبقة في المناطق النائية؛ كما تم تقديم مساعدة فيما يتعلق بملأ استمارات التمليك، وتوفير وسائل مواصلات للنساء اللاتي احتجن إلى رفع دعاوى قضائية، واقترن ذلك بتقديم مساعدة قانونية. « وفي خلال ثلاث سنوات، حصل البرنامج على أراضٍ تم توزيعها على نصف عدد النساء في إقليم السند البالغ ٣٠٠٠ امرأة».

وفي أثناء رحلاتها المتكررة بين بلوشيستان وكراتشي، حيث تستكمل الدورة الأولى للدراسات العليا في مجال العلاقات الدولية وعلم الاجتماع والاقتصاد، جمعت خالدة أموالاً لكي تساعد ضحايا الفيضانات التي غمرت إقليم السند. وحصلت خالدة، بدعم من منظمة «أوكسام»، على أموال تم توزيعها على ٢٥٠٠٠ أسرة في هذا الإقليم، وقامت بنجدة ١٢٠٠٠ نسمة، وشاركت في عمليات إعادة البناء.

وترى خالدة، عندما تتأمل ما مضى من مسيرتها، أن أشد مجهود بذلته إنما تمثل في الحفاظ على سمعتها ـ التي تُعتبر مفهوماً ثقافياً بالغ الأهمية في مجتمع يكون فيه الشرف موضع تقديس، ويُعتبر، تبعاً لذلك، أمراً حيوياً. وتقول خالدة: «إن مسألة جدارة فتاة بالاحترام تثار متى خرجت من منزلها». وتضيف أن والديها كانا دائماً يمثلان بالنسبة لها مثالاً ودعماً. غير أنها تتذكر، ضاحكةً، والدتها التي لم تكن راضية عندما تلقت دعوة للذهاب إلى سيدني من أجل إطلاق اتفاقية شراكة مع منظمة «أوكسام» تخص الشباب، إذْ قالت لها: «إنكِ لن تجدين بالمرة زوجاً لكِ !».

ولما كانت خالدة ترفض هذه النظرة المبسطة للواقع، فإنها تواصل نضالها، وهي مصممة، أكثر من أي وقت مضى، على أن تنقذ من الضياع حياة النساء وعلى أن تغرس فيهن غريزة الحماية والدفاع عن حقهن الأساسي في الوجود. ■

نوشان عباس، البالغة من العمر ٢٦ سنة، صحفية باكستانية تقطن في مدينة إسلام أباد. وهي تعمل لقناة الجزيرة، وهيئة الإذاعة البريطانية الناطقة بلغة الأوردو، وهيئة الإذاعة البريطانية لجنوب آسيا عبر الإنترنت. وقد أعدت أول «إطار» إستراتيجي باكستاني من أجل المراهقين، وذلك لمنظمة تعزيز حقوق الطفل (Plan international) ولمنظمة Rutgers WPF.

© نوشين عباس

© صوفيا الوسقاي

حي شيبويا في طوكيو، يعتبر رمزا للمجتمع الاستهلاك الياباني.

ثورة حقيقية
لا تفصح عن اسمها

هيروكي ياناجيساوا

مضت فترة والشبيبة اليابانية تتساءل في منافع مجتمع مهووس بالنمو الاقتصادي. وحين ضرب الزلزال والتسونامي البلد في آذار/ مارس الأخير، ارتفعت أصوات تنادي بتغيير عميق في منظومة القيم، يعطي الأولوية للرفاهية الاجتماعية والتضامن.

بتاريخ ١١ آذار/مارس ٢٠١١، ألمّ باليابان زلزال لم يُعرَف مثيل لهوله في التاريخ الحديث، عقبه تسونامي رهيب. فكانت الحصيلة: أكثر من ١٤ ٠٠٠ قتيل و ١٠ ٠٠٠ مفقود. وما كادت خمس عشرة ساعة تنقضي بعد وقوع الزلزال حتى توصّل هيرونوري ناكاهارا، مدير شبكة ويب عمره ٣٢ سنة، بالتعاون مع أصدقائه، إلى إطلاق العمل في موقع buji.me الذي يجمع ويعلن المعلومات المتعلقة بالأمن وبحالة كل ضحية، وكل مدينة. ولفظة Buji في اليابانية تعني أمن.

قال هيرونوري: «أول ما خطر لي من الأفكار هو: كيف السبيل إلى مساعدة الضحايا؟ وفي موقف من هذا النوع، يلزم التصرف بسرعة من أجل إنقاذ كل من أمكن إنقاذه من الناس».

غادر شقته في قلب طوكيو ومشى طيلة ثلاث ساعات قبل أن يصل إلى بيت صديقته، القريب من حي شيبويا. في هذا المكان اجتمع أصدقاء هيرونوري الأقربون لمناقشة ماذا يستطيعون فعله في سبيل المساعدة، وهنا وُلدت فكرة buji.me .

«بدأتُ أكتب السطر الأول من الشفرة الساعة السادسة مساء، أي بعد الزلزال بخمس ساعات، واستطعنا وضع الموقع على الخط الساعة السادسة من صباح اليوم التالي. وقلما نِمتُ خلال الأيام الخمسة التي تلت، مكرّسا كل وقتي لتحسين موقع الويب هذا، بغية تزويده بأكبر قدر ممكن من المعلومات عن الضحايا».

لو أن هيرونوري وفريقه وضعوا فاتورة هذا المشروع، لكانت قيمتها تقرب من ٥٠ ٠٠٠ دولار. إلا أن المكافأة التي تسلموها أكبر بما لا يقاس؛ فمما تذكّره هيرونوري: «بفضل هذا المشروع، تلقّينا رسائل عديدة حارة من أشخاص يشكروننا على المساعدة في تحديد مواقع ذويهم». ومنذ تلك اللحظة تغير كليا موقفه من العمل والمال: «ما عدت أستطيع العمل في مشروع دون أن أتساءل: هل من شأن هذا المشروع أن يساعد أحدا من الناس؟ وأدركت أن أهمية مشروع ما تقاس بفائدته للمجتمع أكثر مما بعوائده المالية».

إجمالي السعادة الداخلية

وقبل ذلك، منذ عام ١٩٦٨، أثار السياسي الأمريكي روبرت كندي الشك في مفهوم التقدم، وذلك في خطاب ألقاه في ١٨ آذار/ مارس حيث قال: «يُقدَّر حاليا إجمالي الناتج المحلي لبلادنا بأكثر من ٨٠٠ مليار دولار سنويا، لكنه ينطوي أيضا على تسميم الهواء، وعلى الدعاية للسجاير، وعلى سيارات الإسعاف لتنظيف الطرق السريعة من المجازر...». «نعم، لا يدخل في حساب إجمالي الناتج الداخلي صحة أطفالنا، ولا جودة تعليمهم، ولا هناءهم في اللعب. فهو لا يقيس فِطْنتنا ولا شجاعتنا، ولا حكمتنا، ولا معرفتنا، ولا رأفتنا، ولا تفانينا في سبيل الوطن. إنه، باختصار ووضوح، يراعي كل شيء باستثناء ما يجعل الحياة جديرة حقا بأن تعاش».

ثم جاء ملك بهوتان السابق، جيغمي سينجاي وانغتشوك، يحبِّذ بدوره في عام ١٩٧٢ دليلا مرجعيا بديلا، يقاس به ازدهار بلد من البلدان، تبعا لسعادة سكانه ورفاهيتهم، أي إجمالي السعادة الداخلية.

ومنذ ذلك الحين حتى اليوم، أُسيل كثير من الحبر في معالجة هذا الموضوع، حتى إن إجمالي الناتج المحلي لم يعد، في يابان أيامنا، يشكل المقياس الأول للازدهار. ولذا فإنه حصل، خلال السنوات العشر الأخيرة، قبل وقوع الزلزال، زعزعة للقيم داخل المجتمع الياباني، ولا سيّما عند الشباب، إذ أصبحوا يميلون إلى النظر بعين الرضا إلى الركود الاقتصادي الذي ينتاب اليابان حاليا.

وصرّح يوكي أماغاي، طالب في الـ٢٣ من العمر، أصله من شيبا، بما يلي: «كان نشاطنا الاقتصادي مفرطا ولا ضابط له. وعندي انطباع منذ صغري أن كل ما يحيط بي متسم بالشطط». وتابع يقول: «أُقرّ بأن المال ضروري للعيش، لكنه ليس شيئا يلبّي احتياجاتي العميقة. فبدلا من الذهاب إلى المخازن، أفضل أن ألتقي بأشخاص

يكبرُونني سنا وأشاطرهم الأفكار. ما يهمّني على وجه الخصوص هو أن أبحث في كل ما نستطيع أن نصنعه من أجل تحسين مجتمعنا، ولا سيّما في مجال البيئة، وفي سبيل استنفار الناس وحشدهم للعمل.

وبعد أن اعتُمد في عام ١٩٩٨ قانون الجمعيات غير الربحية، تعاظم انتشار هذا القطاع في اليابان. وانخرط في أعمال طوعية كثير من الأشخاص. «إذ إن اليابان، من حيث الخيراتُ المادية، بلغ قمما يصعب أن تُضاهى. ولكن، عند النظر بإمعان في النظام الاجتماعي لهذا البلد، ندرك أنه ناقص، ولا يشتغل جيدا. ولذا يعمل كثير من الشباب النشطاء والجمعيات غير الربحية على تضييق هذه الفجوة»، على حد قول إيكوما ساغا، مؤسس Service Grant (الخدمة الممنوحة)، الوكالة اليابانية الرئيسية المكلّفة بالتواصل بين المتطوّعين والجمعيات المذكورة.

ومن الممكن، بالنظر إلى الانخفاض المستمر في عدد سكان اليابان، أن يفوق، في مستقبل قريب، إجماليُّ الناتج المحلي عند عدد متزايد من البلدان إجماليَّ الناتج المحلي لليابان. ولكن ليس في ذلك مدعاةٌ للقلق: إذ من المؤكد أن اليابان يصير أسعد وأقوى بفضل شبيبته.

هيروكي ياناغيساوا، في الـ٣٣ من العمر، صحافي مستقل ومؤسس EDGY JAPAN (edgyjapan.jp)، موقع ويب متعدد الوسائط، يعرِّف على مستوى اليابان بالأشخاص الموهوبين، والمنتجات والمواقع الابتكارية، ويؤدي وظيفة التواصل بين كل المعنيين. يعمل هيروكي ياناغيساوا متنقلا بين طوكيو وهونغ كونغ.

© تيري ساتو

شباب يترابط بعضه بعضاً ويريد المشاركة في النقاش: لقد أتوا من جميع أرجاء العالم وأقاموا حركة تسمّى «حركة الشباب من أجل المناخ»، وذلك لكي يكون لهم الحق في إبداء الرأي في المؤتمرات المعنية بقضايا المناخ. فهم يرون أن هذه القضايا إنما تتعلق بمستقبلهم .

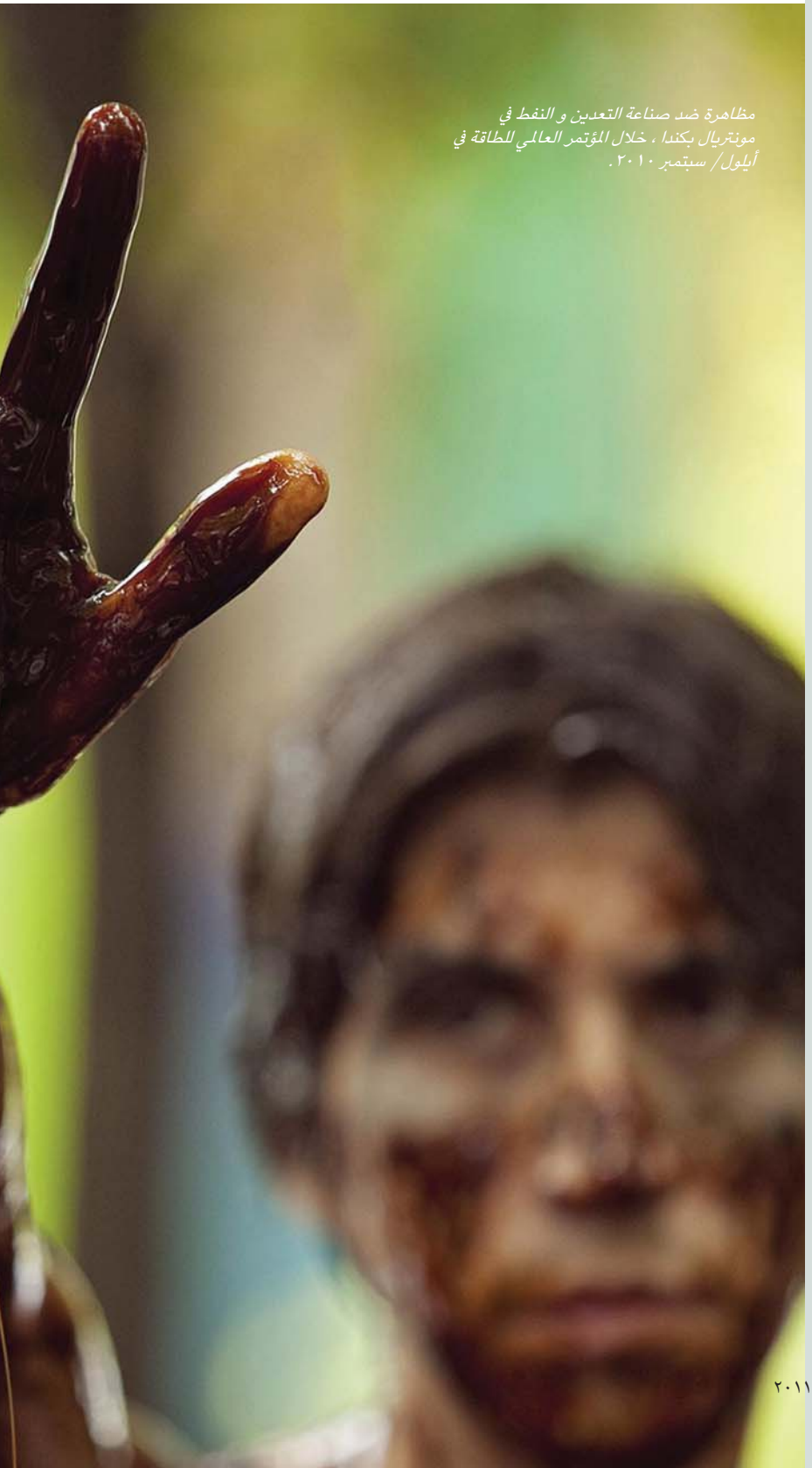

مظاهرة ضد صناعة التعدين و النفط في مونتريال بكندا ، خلال المؤتمر العالمي للطاقة في أيلول/ سبتمبر ٢٠١٠.

ثائرون ولثورتهم أسباب

© فرانسوا بيسان/ الخضر للسلام

بقلم ينز لوباده

في عام ١٩٩٢، لم تكن سيفيرن كوليس ـ سوزوكي تتجاوز الثانية عشر من عمرها عندما ألقت خطابها الشهير في مؤتمر قمة الأرض للأمم المتحدة المنعقد في ريو دي جانيرو، والذي قالت فيه: «إنني مجرد طفلة ولا أملك كل الحلول، وأملي أن تدركوا أنكم أيضاً لا تملكون كل الحلول. فليس في استطاعتكم رتق ثقب طبقة الأوزون؛ أو إرجاع أسماك السلمون إلى المياه الملوثة؛ أو ردّ الحياة إلى الحيوانات الميتة؛ أو زرع أشجار في مناطق تحولت الآن إلى صحارى. وإن كان من غير الممكن لكم معالجة كل هذه الأمور، فأرجو منكم وضع حد لهذا التخريب».

وبعد مرور ما يقرب من عشرين عاماً، فإن مداخلة سيفيرن كوليس ـ سوزوكي ظلت باقية في الذاكرة. كما أنها أحرزت نجاحاً باهراً على موقع «يوتيوب» الإلكتروني. وما زال الفيديو الذي يحمل عنوان» الفتاة التي استمع إليها العالم في صمت حقيقي لفترة ست دقائق» يحرك مشاعر مشاهديه في الصميم.

إن سيفيرن كوليس ـ سوزوكي كندية الجنسية، ولكنها تحدثت إلى جميع الأطفال والشباب في العالم، ولاسيما إلى الذين لم تتح لهم فرصة العيش في بلد غني مثل بلدها. إن ثلث البشرية شبان. ويبلغ عددهم ملياري نسمة، وليس لهم، بشكل عام، صوت سياسي مسموع، فالكبار هم الذين يقررون ملامح مستقبل هؤلاء الشباب. وفي هذا الصدد تقول سيفيرن للكبار: «إنكم تتحكمون في مستقبل عالم نحن الذين سنعيش فيه».

ورثة مثقلون بالديون

إن النزاع بين الأجيال هو واقع لا مناص من إنكاره: فلقد أدرك الشباب أن الكبار تركوا لهم دَيْناً اقتصادياً وإيكولوجياً. ففي عام ٢٠١٠، بلغت الديون المتراكمة على الدول الأعضاء في الاتحاد الأوروبي ٨،٧ بليون يورو. ومعروف أن البليون هو رقم يصعب تصوره. فهو يعادل ألف مليار، أي أنه رقم يتبعه اثنا عشر صفراً. وكل طفل يولد في أوروبا فإنه يعاني عجزاً مالياً يقارب ١٧٠٠٠ يورو. وتُعتبر هذه الديون بمثابة جُبن سياسي يتمثل في إلقاء عبء على من لا حيلة لهم، إذ أنهم في سن صغيرة جداً، أو أنهم لم يولدوا بعد.

أما الديون الإيكولوجية المتراكمة خلال أجيال عديدة منذ ما يقرب من قرن فإنها تمثل عبئاً أشد وطأة. فنحن نستهلك من الطاقة والموارد المتخلفة أكثر مما يمكن لكوكبنا أن يتحمله. ومنذ بداية العصر الصناعي، تتزايد انبعاثات غاز ثاني أكسيد الكربون في الجو بفعل البشر. ويؤدي الاحتباس الحراري إلى ارتفاع معدل الحرارة في العالم: فقد زاد متوسط درجة حرارة الأرض بمقدار ٠،٧٤ درجة مئوية منذ عام ١٩٠٥. وسجلت درجات الحرارة في العقد الأول من القرن الحادي والعشرين أعلى معدلات لها منذ أن توافرت بيانات عنها. وبالإضافة إلى ذلك، فإن تبعات تغير المناخ باتت واضحة: وهو ما يتمثل في تقلص جليد القطب الشمالي، وفي ازدياد الكوارث المناخية، وارتفاع مستوى البحار وذوبان الأنهار الجليدية.

وجاء في الموقع الشبكي لحركة الشباب من أجل المناخ (http://youthclimate.org) : «إننا لا نرث الأرض من أسلافنا، ولكننا نستعيرها

من أحفادنا». وتُعبر هذه الحكمة الهندية تعبيراً جلياً عن المشكلة المطروحة ومفادها أن شباب اليوم هم الذين سيدفعون نفقات نمط حياتنا المثقلة بالديون. وجاء أيضاً في الموقع ذاته: «على الرغم من أننا نتجه نحو عالم ستنخفض فيه، بالضرورة، انبعاثات غاز ثاني أكسيد الكربون، فإن الشباب هم الذين سيتحملون، في المستقبل، التبعات الناجمة عن الأنشطة البشرية».

وجدير بالذكر أن «حركة الشباب من أجل المناخ» تضم شباباً من جميع أرجاء العالم. كما أن لها فروعاً في العديد من بلدان كافة القارات. ومنذ انعقاد المؤتمر الدولي حول المناخ في مونتريال (كندا) عام ٢٠٠٥، فإن كل عضو وطني في هذه الحركة يرسل ممثلين لحضور الاجتماعات الدولية المعنية بالمناخ.

ومن جانبها، فإن نيفا فريشفيل، البالغة من العمر ٢٩ سنة، والمنضمة إلى فرع الحركة في بريطانيا، حيث تقوم بتنسيق الالتزامات الدولية في هذا المجال، تقول: «لقد أدرك هذا الجيل أن شعوب العالم أجمع ستتأثر جرّاء تغير المناخ، ومن ثم تقع على الجميع مسؤولية التصرف بما تقتضيه الضرورة». إن شباب اليوم يرفض الوقوف متفرجاً بينما يتحكم الكبار في مستقبله. وفي هذا الصدد، تضيف نيفا فريشفيل، قائلةً: « إننا نعلن رفضنا لهذا الوضع؛ كما نؤكد عزمنا على تغيير الأمور على النحو الذي يتماشى مع مبادئنا».

وفي عام ٢٠٠٩، شكلت الفروع الوطنية لحركة الشباب من أجل المناخ رابطة «YOUNGO»، وهي رابطة تدعو إلى خفض انبعاثات غاز ثاني أكسيد الكربون بنسبة ٨٥٪ بحلول عام ٢٠٥٠ (مقارنة مع عام ١٩٩٠)، وذلك على الصعيد العالمي. وقد تم الاعتراف رسمياً بهذه الرابطة باعتبارها مجموعة عمل تمثل مصالح الشباب في اتفاقية الأمم المتحدة الإطارية المتعلقة بتغير المناخ. وحتى الآن، فإن هذا الوضع هو وضع مؤقت، ولكنه سيتغير بالضرورة. وفي هذا الصدد، تقول كرستيانا فيغيريس، الأمينة التنفيذية لاتفاقية الأمم المتحدة الإطارية المتعلقة بتغير المناخ، إن: «عام ٢٠١١ هو عام حاسم بالنسبة إلى فريق العمل التابع لرابطة «YOUNGO»، لأنه سيتم دراسة وضعه تمهيداً لإضفاء طابع رسمي عليه. ولكن اكتساب هذا الفريق صفة رسمية لا يعني أن ذلك هو «بداية» الالتزام والمشاركة في الأنشطة ذات الصلة، لأن أطفالاً وشباباً يشتركون بالفعل في اجتماعات الأطراف المنضمة إلى اتفاقية الأمم المتحدة الإطارية المتعلقة بتغير المناخ، وذلك منذ عام ٢٠٠٠».

ولدى انعقاد المؤتمرين العالميين المعنيين بالمناخ في كوبنهاجن (الدنمرك) وفي كانكون (المكسيك)، كان للشباب، للمرة الأولى، صوت سياسي مشترك. وصحيح أنه لم يكن من الممكن لهم، آنذاك، أن يشاركوا في اتخاذ القرارات في إطار المفاوضات التي جرت أثناء انعقاد هذين المؤتمرين. وتفسر نيفا فريشفيل هذا الأمر، قائلة : «إن فريق العمل التابع لرابطة «YOUNGO»، شأنه شأن سائر أفرقة العمل الملحقة باتفاقية الأمم المتحدة الإطارية المتعلقة بتغير المناخ، لا يشارك في الاجتماعات إلا بصفة مراقب. فمن غير الممكن أن نشارك في المفاوضات، ومع ذلك فنحن نستطيع أن نمارس ضغوطاً لكي نؤثر في عملية اتخاذ القرارات. أما التسليم بوضع هذا الفريق كمراقب فإنه يتيح للشباب الحصول على وسائل أيسر للمشاركة في سير العمل، وفي الاتصال بالمفاوضين وبأعضاء الأمانة». وذلك هو ما تؤكده كريستيانا فيغيريس بقولها إن: «وضع فريق العمل من شأنه تيسير تبادل المعلومات فيما بين الشباب وأعضاء الأمانة، كما أنه يساعد على تنظيم المشاركة الفعالة للممثلين الشباب لدى اجتماعات الأطراف المنضمة إلى اتفاقية الأمم المتحدة الإطارية المتعلقة بتغير المناخ». وبالإضافة إلى ذلك، تؤكد نيفا فريشفيل أن: «أعضاء رابطة «YOUNGO» لهم الحق في إلقاء مداخلات، وهو ما يتيح لشباب العالم أجمع أن يعبّروا عن آرائهم على أعلى المستويات في الاتفاقية المذكورة.

وينبغي التنويه بأنه، منذ عشر سنوات، يعقد النشطاء الشبان، بشكل منتظم، مؤتمراً خاصاً بهم والذي يجتمع عادةً قبل انعقاد المؤتمر العالمي حول المناخ بعدة أيام.

اهتمام الشباب بالسياسة أكبر مما يُظن

يسود الاعتقاد بأن شباب اليوم لا يكترث بالقضايا السياسية. ولكن إذا ما دققنا النظر في واقع الأمور، اتضح لنا أنه أكثر تعقيداً. وصحيح

© جاسون دي كير تايلور/الخضر للسلام

مشهد من « التطور الصامت» تشييد تحت البحر للفنان البريطاني جيسون ديكير تايلور، تم عرضه خلال المؤتمر العالمي لتغير المناخ في كانكون، المكسيك (COP16) ٢٠١٠ . غواصون ينظمون الى التماثيل المغمورة لمناقشة واحدة من تهديدات تغير المناخ: ارتفاع منسوب مستوى مياه البحر.

أن الشباب لا يهتم بالقضايا السياسية التقليدية، ولا بمن يمارسونها. كما لا يحظى رجال السياسة والأحزاب السياسية بتقدير كبير في نظرهم: فالواقع أن ما يقرب من ثلث الأوروبيين فقط، الذين تتراوح أعمارهم بين ١٦ و٢٩ سنة، يثقون بالسياسيين وبالأحزاب. ومع ذلك، فينبغي أن نلاحظ أن هذه النسبة تقل أيضاً لدى الأشخاص الأكبر سناً. «إن عدم الاكتراث بالقضايا السياسية لا يخص الشباب فقط»، ذلك هو ما تؤكده شابة فرنسية اسمها سيسيل لوكونت، تبلغ من العمر ٢٩ سنة، تناضل من أجل الحفاظ على البيئة، وتقطن في مدينة لونيبورغ، الواقعة شمال ألمانيا، واشتهرت بما تقوم به من أنشطة مثيرة تتمثل في تعطيل حركة القطارات المحملة بالنفايات النووية، وذلك بالوقوف على قضبان السكة الحديد.

إن ضعف الالتزام السياسي التقليدي بين صفوف الشباب إنما يرتبط بالتأكيد بعدم الثقة برجال السياسة. فوفقاً لبيانات مكتب الإحصاء للجماعات الأوروبية*، فإن ٤٪ فقط من الشبان الأوربيين منضمون إلى أحزاب سياسية. كما أن ١٦٪ فقط منهم يرون أن العمل البرلماني هو أفضل وسيلة لإسماع صوتهم.

والواقع أنهم يشاركون في العمل السياسي بطريقة مختلفة. وفي هذا الصدد، تقول نيفا فريشفيل: «نحن منخرطون تماماً في معترك السياسة؛ واتجاهنا هذا آخذ في التنامي، نظراً لشعورنا المتزايد بأننا مبعدون عن العمل السياسي، ولأننا لا ننتظر الشيء الكثير منه».

وبالإضافة إلى ذلك، يرى الشباب الأوروبي أن الانخراط في العمل السياسي خارج البرلمان يتسم بقدر أكبر من الفعالية: وهو ما يتمثل في إجراء المناقشات (٣٠ ٪)، أو في المشاركة في التظاهرات (١٣٪)، أو في تأييد عريضة أو دعم منظمات غير حكومية (١١٪). وتتفق سيسيل لوكونت مع هذا الرأي. فهي ترى أن انخراط الشباب في المظاهرات الاحتجاجية قد ازداد إلى حد بعيد خلال السنوات الأخيرة.

وجدير بالذكر أن هذا الاتجاه يبدو واضحاً في جميع أنحاء العالم، ولاسيما في البلدان التي تغيب عنها أنماط العمل السياسي التقليدية نظراً لغياب الديمقراطية. وتفسر نيفا فريشفيل هذا الأمر، قائلةً: «لقد قام الشباب، مؤخراً، بالعديد من الحركات الاحتجاجية بخصوص نفقات التعليم، وذلك في المملكة المتحدة، أو في بلدان أخرى مثل مصر وتونس. وعلاوة على ذلك، فإن الشباب الأوروبي يُجمع على عدم التعامل مع المنظمات غير الحكومية «المخضرمة»، وعلى التأثير في سياسات الاتحاد الأوروبي».

أما كريستيانا فيغيريس فإنها ترى أن من المهم بمكان أن يشارك الشباب في العمل السياسي على الصعيد الوطني. وتقول في هذا الشأن: «إنني لا أتوقف عن تشجيع الشباب على المشاركة الفعالة في صياغة مواقف للمفاوضات وللسياسات المعنية بالبيئة في بلدانهم. وهذا المستوى من المشاركة هو الذي يُمكّنهم من الضغط، بقدر أكبر، على الحكومات لكي تتخذ تدابير طويلة الأجل، وذلك بإفهامها أن الجيل المقبل هو الذي سيتضرر إلى أبعد حد جرّاء تغير المناخ».

ومن الجدير بالذكر أن الثقة التي يضعها الشباب في المؤسسات السياسية، مثل البرلمان، تفوق بكثير ثقتهم في رجال السياسة أنفسهم. وبالإضافة إلى ذلك، فإن المؤسسات ما فوق وطنية تحظى بقدر كبير من القبول: فالبرلمان الأوروبي ومنظمة الأمم المتحدة يحظيان بتقدير ٧٠٪ من الشباب.

وفيما يتعلق بهذه النقطة، فإن الشباب يختلفون اختلافاً واضحاً عن من هم أكبر منهم سناً. فقد لا يعبئون بالحدود الفاصلة بين البلدان، ويعتبرون أن الربط الشبكي والتعاون بين شتى الشعوب إنما يمثلان عناصر إيجابية من شأنها خلق مناخ تسوده الثقة. وهو ما تؤكده نيفا فريشفيل، قائلةً: «يبرهن الشباب على أن من الممكن طرح المصالح الوطنية جانباً من أجل التعاون الذي يرمي إلى تحقيق المصلحة المشتركة».

إن تأثير شبكات الإنترنت يمثل، بالتأكيد، عاملاً من العوامل الفعالة في هذا المجال.ففي عام ٢٠٠٨، كان ٧٠٪ من الشباب يستخدمون شبكات الويب يومياً؛ وقد ارتفعت هذه النسبة خلال السنوات الأخيرة. وفيما يتعلق بهذه النقطة أيضاً، فإن ثمة هوة تفصل بين الأجيال: فالشباب لهم من القدرات في مجال استخدام شبكات الإنترنت ما يفوق كثيراً قدرات من هم أكبر منهم سناً. ويتم استخدام الشبكات الاجتماعية، مثل «تويتر» ومنتديات الحديث، بقدر أكبر. وعلاوة على ذلك، فإن هذه الشبكات تمثل نمطاً جديداً لإقامة علاقات واتصالات فيما بين الشباب في جميع أرجاء العالم. وفي هذا الشأن، تقول نيفا فريشفيل: «إننا نستخدم الوسائل الاجتماعية المبتكرة على نحو يتسم بقدر أكبر من الفعالية، مقارنةً بالمندوبين الأكبر سناً الذين يمثلون دولهم في اتفاقية الأمم المتحدة الإطارية المتعلقة بتغير المناخ. فنحن نميل بقدر أكبر للأنشطة الإبداعية والتجديدية والترفيهية، وذلك لأننا غير ملتزمين بالأساليب والعادات التي عفا عليها الزمن، إذْ أننا نواصل صياغة نُهج جديدة. وإضافة إلى ذلك، فإن خطابنا يتسم غالباً بطابع إيجابي، فهو خطاب مؤيد أكثر منه معارض. ونحن نسعى إلى تصور المستقبل الذي نود العيش في كنفه». ■

© الكشافة بوي في الفلبين

فتاة كشافة تقوم بتنظيف خليج مانيلا في اطار المشروع «تذكرة الى الحياة»، الفلبين.

ينز لوباده، البالغ من العمر ٣٦ سنة، هو صحفي في جريدة «جرين بيس ماجازين»، ألمانيا، ومراسل لمجلة «رسالة اليونسكو» منذ عام ٢٠٠٩.

© كلاوديا فوستينهاغن

* *إن الأرقام الخاصة بالشباب في أوروبا، والواردة في هذه المقالة، مقتبسة من: «الشباب في أوروبا: الوضع الإحصائي، نشرة ٢٠٠٩»، المكتب الإحصائي للاتحاد الأوربي، المفوضية الأوروبية.*

ليس هناك سبيل آخر

في كانون الأول/ ديسمبر ٢٠٠٩، تصدى أطباء، تبدو عليهم علامات الغرابة وعدم الألفة، لمخاطبة المارة، في كوبنهاغن، بالدنمرك، ليعرضوا عليهم إجراء فحص طبي وإعطائهم وصفات طبية. وكان تصرفهم هذا يختلف كل الاختلاف عن صورة قدامى أطباء الصين الحكماء المطبوعة في أذهان الناس، رغم أنهم كانوا يرتدون ملابسهم التقليدية. ويُعزى ذلك الاختلاف بالطبع إلى أنهم لم يكونوا أطباء، كما أن المارة لم يكونوا يعانون من أي أمراض. غير أن تشخيصهم لما لحق بكوكبنا هو تشخيص واقعي بالتأكيد.

تشاو يينغ

يعمل تشان يوفينغ اِثْنتا عشرة ساعة يومياً طوال أيام الأسبوع. ويدير هذا الشاب، البالغ من العمر ٢٤ سنة، «شبكة الشباب الصيني للعمل من أجل المناخ» (CYCAN)، وهي عبارة عن رابطة لا تستهدف الربح. ويقول تشان في هذا الصدد:»إن أيام العمل مثقلة بكثير من المهام التي أقوم بإنجازها، وغالباً ما أضطر إلى البقاء في مكتبي طوال الليل، حيث أني أنفذ أنشطة تتعلق بأمور شتى، مثل المناخ، وتدريب المتطوعين، وجمع الأموال اللازمة ومقابلة شركاء البرنامج».

وقد حصل تشان العام الماضي على دبلوم في الفن والتصميم من معهد تصميم الأزياء في بيجين. وعندما دُعي للمشاركة في التحضير لحملة «شبكة الشباب الصيني للعمل من أجل المناخ» الخاصة بيوم الأمم المتحدة في ٢٤ تشرين الأول/ أكتوبر ٢٠٠٩، فإنه لم يكن يعرف شيئاً يُذكر عن تغير المناخ.

ومع ذلك، فقد قام تشان بتصميم الشعار والملصقات والكتيبات لهذه الحملة التي اجتذبت مجموعات من طلاب في ٢٠٠ جامعة من جامعات البلاد، وما يقرب من خمسين منظمة غير حكومية. وبالإضافة إلى ذلك، فإن هذه الحملة شملت أكثر من ٥ مليون نسمة. ويقول تشان:»خلال شهر واحد، عملت بجهد مع متطوعين كثيرين. وقد صرت شغوفاً للغاية بهذا العمل، الذي اعتبرت الانخراط فيه بمثابة «حُبّ من أول نظرة».

ولقد شارك أكثر من ٣٠٠٠٠ شاب مشاركة مباشرة في يوم الأمم المتحدة المذكور الذي دعمه برنامج الأمم المتحدة للبيئة ومنظمات أخرى. وحقق هؤلاء الشباب انجازات عدة، وذلك عن طريق استخدام مراوح لإذابة الجليد المتراكم على الجبال، أو دهن جذوعهم بصبغة زرقاء لتذكير الناس بارتفاع مستوى سطح البحار جرّاء الاحترار المناخي. وكان هؤلاء الشباب يتنقلون من مكان إلى آخر باستخدام الدراجات وألواح التزلّج بدلاً من ركوب سياراتهم.

ويقول تشان:»إن رفقائي أبدوا حماساً ونشاطاً فيما كانوا يقومون به. ولقد لاحظت ما أظهروه من تفان ومثابرة وعزيمة في عملهم»، مضيفاً أن هذا الحدث بيّن له جانباً آخر من المجتمع الذي تسوده النزعة الاستهلاكية، وهو جانب يدل على أن الشباب يعملون باجتهاد بالغ من أجل أن يكون العالم أكثر اِخضراراً والمستقبل أكثر نظافة.

وفي أعقاب هذه الحملة، شرع المسؤولون في «شبكة الشباب الصيني للعمل من أجل المناخ» في اختيار مرشحين لحضور الدورة الخامسة عشرة لمؤتمر الأطراف في اتفاقية الأمم المتحدة الإطارية بشأن تغير المناخ، المنعقدة في كوبنهاغن، بالدنمرك، في كانون الأول/ ديسمبر ٢٠٠٩، وذلك من أجل تشكيل أول وفد للشباب الصيني يشارك في المناقشات الدولية بشأن المناخ.

وقد مثّل ذلك تحدياً كبيراً بالنسبة لهؤلاء المسؤولين، وذلك لأنهم كانوا يعرفون أن شاباً صينياً فقط شارك في المفاوضات المتعلقة بالمناخ التي جرت في عام ٢٠٠٨، في مدينة بوزنان، ببولندا، والتي حضرها مئات من الشباب من الولايات المتحدة وأوروبا ومناطق أخرى من العالم للمشاركة في المناقشات.

وقد تردد تشان في المشاركة في الوفد. ويبرر ذلك بقوله:» لم أكن أتمكن من اللغة الإنجليزية بقدر يتيح لي المشاركة في مؤتمر دولي. وقد خشيت أن لا أكون أهلاً لهذه المهمة». ولكنه انضم إلى الوفد في نهاية المطاف باعتباره مصوراً ومخطط برنامج.

وعلاوة على تصميم الشعارات والقمصان والملصقات وتصوير فعاليات المؤتمر، نظّم تشان ورفقاؤه أنشطة منها، على سبيل المثال، «تشخيص حالة كوكب مريض»؛ فارتدوا ألبسة الأطباء الصينيين التقليديين، واقترحوا إجراء «فحوص طبية» للمشاركين في المؤتمر. أما المشاركون الذين وقّعوا على عرائض لمكافحة الاحترار المناخي، فإنهم حصلوا على «وصفات طبية» للتصدي للمشكلات الخاصة بالمناخ.

وقد أجرى الوفد أيضاً مناقشات بشأن المناخ مع مسؤولين صينيين وأجانب، ومع صحفيين ومفاوضين، ولاسيما مع شيه شن هوا، نائب وزير لجنة الدولة للتنمية والإصلاح، وجاري لوك، وزير التجارة الأمريكي.

هذا، وقد اعتمد أعضاء الوفد هذا الشعار:»ليس هناك سبيل آخر» (No Other Way)، وهو الشعار الذي يرمي اسمه المختصر NOW (الآن) إلى

© بترخيص كريم من طرف تشانغ يوفينغ

تشانغ يوفينغ يتظاهر في كوبنهاغن، الدنمارك، خلال انعقاد المؤتمر الخامس عشر للأمم المتحدة حول تغيير المناخ (COP١٥) رافعا شعار جمعيته.

الإسراع في خفض انبعاثات غاز الكربون، وذلك من أجل الحدّ من الاحترار المناخي.

الاستماع لا يكفي

إن الدورة الخامسة عشرة لمؤتمر الأطراف في اتفاقية الأمم المتحدة الإطارية بشأن تغير المناخ بيّنت لتشان القدرات المحدودة للشبان الصينيين الذي شاركوا في أعمالها، وذلك فيما يخص مستوياتهم اللغوية. فقد كان معظم رفقاء شان يفهمون الخُطب التي أُلقيت في هذه الدورة، ولكن عدداً محدوداً منهم كان يجيد التحدث باللغة الإنجليزية الدارجة. وقد كان تشان منبهراً إلى حد بعيد بالمهنية التي يتسم بها الشبان من أعضاء الوفود الأجنبية. ويقول في هذا الصدد:»إن هؤلاء الشبان الأجانب يتمتعون بخبرات واسعة، ويدركون تمام الإدراك الآليات والسياسات الخاصة بالمؤتمرات. ولقد قدموا اقتراحات مبتكرة؛ أما نحن فقد اكتفينا بالاستماع».

وجدير بالذكر أن الجامعات الصينية لا توفر سوى القليل من دورات التدريب المتخصصة في المشكلات المناخية؛ كما لا تتاح الفرصة للناشطين الشبان في الصين لتبادل المعلومات بشأن هذه المشكلات مع نظرائهم الأجانب.

وعشية انعقاد الدورة الخامسة عشرة لمؤتمر الأطراف في اتفاقية الأمم المتحدة الإطارية بشأن تغير المناخ، نظمت «شبكة الشباب الصيني للعمل من أجل المناخ» دورة تدريبية بشأن آليات المناقشات، والمشكلات الخاصة بتغير المناخ، وجمع الأموال، والعلاقات العامة، وإدارة فعاليات المؤتمرات. ولكن تشان يشير إلى أن ذلك لم يكن كافياً، وأنه كان من الضروري تنظيم دورات تدريبية مستمرة لتحديث معارف وكفاءات الشباب بشكل منتظم. وما أن عاد تشان إلى الصين، توصل إلى الانضمام إلى الشبكة كموظف بدوام كامل.

وتجدر الإشارة إلى أن «شبكة الشباب الصيني للعمل من أجل المناخ» هي منظمة غير حكومية، أسستها سبع مجموعات من الشباب الصيني في عام ٢٠٠٧، ولا تضم في الوقت الحالي سوى ثلاثة موظفين متفرغين. ويتولى تنفيذ جانب كبير من أنشطتها ٥١ متطوعاً يعيشون في بيجين، بمشاركة خلية تشمل تسعة أعضاء يعيشون أو يدرسون في الخارج.

وقد صار تشان عنصراً فاعلاً رئيسياً لهذه الرابطة، وذلك في أعقاب سلسلة من الحملات الكبرى، منها على وجه الخصوص القمة العالمية للشباب المعنية بالطاقة وتغير المناخ المنعقدة في تموز/ يوليو ٢٠١٠، في شنغهاي، و»مسابقة الطاقة الخضراء» (Great Power Race) التي اجتذبت نحو ألف جامعة صينية وهندية وأمريكية.

هذا، وقد اعتاد تشان، الذي ينتمي إلى إقليم غوانغدونغ الساحلي الواقع في جنوب الصين، ارتياد المعارض الفنية في العاصمة، وحضور العروض ومشاهدة الأفلام، فضلاً عن ممارسة لعبة البلياردو مع أصدقائه بعد انتهاء الدروس. غير أن وظيفته المهنية الجديدة لا تتيح له مواصلة القيام بذلك.

الكوكب قبل تصميم الأزياء

لو كان تشان قد اختار مهنة مصمم أزياء عند انتهائه من دراساته، لارتفع دخله بالتأكيد ثلاثة أمثال ما يكسبه في الوقت الراهن. ويقول في هذا الصدد:»إني لا أتلهف على كسب المال. وذلك أن ما يعنيني، في سني، إنما هو تحسين كفاءاتي بشكل عام. و»شبكة الشباب الصيني للعمل من أجل المناخ» هي، بالنسبة لي، المجال الذي أستطيع من خلاله أن أواصل تعلم كثير من الأمور، عن طريق اللقاءات التي تجمعني بأناس من جميع الأوساط».

غير أن المشكلات المتعلقة بجمع الأموال وتدريب المتطوعين تثير لدى تشان شواغل كثيرة. ومن أمثلة ذلك أن موظفي الشبكة المذكورة لم يتلقوا أجورهم لمدة ثلاثة شهور في العام الماضي بسبب نقص الأموال. ويقول تشان في هذا الصدد:» إن ذلك كان من الأمور الصعبة؛ غير أننا صمدنا بفضل الخطط البناءة التي قدمناها إلى المؤسسات والجهات الراعية».

وبالإضافة إلى ذلك، فإن بعض المسؤولين ترك الشبكة المذكورة للشروع في امتهان وظائف أخرى أو للدراسة في الخارج، وهو ما أجبر المنظمة على تعيين أعضاء جدد وتدريب متطوعين. ويؤكد تشان أن:» رابطات كثيرة للشباب تنشط في الصين، ولكن من الملح في هذه الظروف تحسين خبرات هذه الرابطات حتى تتمكن من إسماع صوتها». ■

تشاو يينيغ، البالغة من العمر ٣٤ سنة، في معرض شنغهاي لعام ٢٠١٠، حيث كانت تعمل كمحققة صحفية لوكالة الأنباء الصينية «شينخوا»، التي انضمت إليها في عام ١٩٩٩. وتعمل الآن كصحافية في نشرة China Features، الملحقة بوكالة «شينخوا».

© الحقوق محفوظة

الحياة فوق دراجة

© جيراردو مونت دي أوكا فالاديز، غوادالاجارا

ذات يوم، في مطلع عام ٢٠١١، ضرب نحو ثلاثين شاباً حصاراً على جادة سانتا مارغاريتا في زابوبان، إحدى بلديات ولاية جاليسكو المكسيكية. وقاموا بتثبيت آلة لرسم الخطوط على دراجة نقل ثلاثية العجلات، وشرعوا في العمل ! وفي نهاية صباح هذا اليوم، كان قد تم رسم خط أبيض على الجادة يمتد مسافة خمسة كيلومترات، إضافة إلى وضع شارات تنبيه تخص الدراجات على الأرض، وتعليق لافتات إرشادية على الأعمدة.

بقلم روث بيريز لوبيز

الصور من غيراردو مونتيس دي أوكا فالاديز، البالغ من العمر ٣٣ سنة، هو خبير نفساني وفنان تشكيلي من المكسيك. وهو أيضاً عضو في حركة «مدينة للجميع». للمزيد من المعلومات: http://gmove.wordpress.com/ et http://www.flickr.com/photos/gmov/

ما أن تم إنشاء الطريق الجديد حتى أُطلِق عليه اسم «سيكلوفيا سيودادانا» (أي: طريق الدراجات المواطن). وقد قام الشباب بدفع نفقات إنشاء هذا الطريق من مواردهم الخاصة، والتي بلغت نحو ١٠٠٠ دولار. ورغم عدم الحصول على تصريح مسبق برسم هذا الطريق، فقد صار له سند قانوني بعد فترة وجيزة. وذلك لأن أمانة المواصلات ببلدية ولاية جاليسكو سارعت إلى إعلان موافقتها على هذه المبادرة. وعلاوة على ذلك، فإن هذه الأمانة تعهدت ليس بتحسين الطريق والحث على احترام قواعد استخدامه فحسب، بل التزمت أيضاً بإضفاء الطابع الرسمي على كل مبادرة مُواطِنة من هذا النوع في المستقبل، ما دامت تتفق مع أهداف الخطة التوجيهية الرئيسية الخاصة بوسائل النقل الغير الآلية.

أيّ خطة توجيهية رئيسية يقصدون؟ تبدأ الأحداث في عام ٢٠٠٧، في مدينة غوادالاجارا، ثاني أكبر مدن المكسيك وعاصمة ولاية جاليسكو. فقد قامت حركة احتجاجية مدنية ضد تحويل جادة لوبيز ماتيوس إلى طريق سريع. وتجدر الإشارة إلى أنه كان من الممكن لمواطنة، مثل بولينا، التي تعودت أن تذهب إلى الجامعة بسيارتها، أن تجد في هذا الإجراء مصلحة شخصية لها؛ ولكنها رأت أن المشروع قد تم تصميمه دون التشاور مع السكان المحليين، وأنه لا يتماشى مع احتياجاتهم. وفي هذه الفترة، كانت بولينا تتابع دورة تدريبية تخص مسائل الحوكمة والشفافية والعمل الحكومي. أما خيسوس، طالب الفلسفة الذي يؤيد استخدام الدراجات، فقد عارض مشروعاً للتخطيط الحضري يحبذ استخدام السيارات. واليوم، أصبح هذان الطالبان، البالغ عمرهما ٢٤ و٢٧ سنة على التوالي، من الخبراء الحقيقيين في مجال التخطيط الحضري والتنمية المستدامة. فهما يُعبران عن آرائهما على نحو مهني، ويتفاوضان مع السلطات المحلية ووسائل الإعلام. وفي هذا الصدد، يقول خيسوس:» لقد بات لزاماً علينا أن نتعلم أساليب النقاش وعرض حججنا في مواجهة صانعي السياسات». وكان من الضروري القيام بذلك، لاسيما وأن ما قاموا به من احتجاجات، في بادئ الأمر، بشأن مشكلة جادة لوبيز ماتيوس، لم تؤد إلى النتائج المنشودة. غير أن هذه الاحتجاجات أفضت إلى نتيجة أخرى اندرجت، على نحو مستدام، في حياة المدينة، ألا وهي نشأة الحركة المُواطِنة المسماة «سيوداد بارا تودوس» (أي:مدينة للجميع).

لقد بدأ شباب حركة «مدينة للجميع»، منذ عدة سنوات، حواراً مع حكومة ولاية جاليسكو من أجل إقناعها بأهمية إقامة شبكة من طرق الدراجات في منطقة غوادالاجارا الكبرى، وهي المنطقة التي تشمل ثماني بلديات من بينها بلدية زابوبان. وقد أسفر هذا الحوار عن إعداد خطة توجيهية رئيسية لوسائل النقل الغير الآلية؛ وترد هذه الخطة في وثيقة يبلغ عدد صفحاتها نحو ألْف صفحة قام بتحريرها أخصائيون تابعون لمكتب استشاري وبمشاركة أعضاء من المجتمع المدني. وأوشكت هذه الجهود أن تؤتي ثمارها عندما جاءت إلى السلطة حكومة جديدة، أقل

مرحلة من مراحل مشروع «حديقة البيو»

© جيراردو مونت دي أوكا فالادير، غوادالاجارا

اهتماماً بهذا الموضوع. ومن ثم فقد عاود الشباب جهودهم ابتداءً من نقطة الصفر، وقد تسلحوا بالصبر وطول الأناة. وقاموا بمساع لإقناع السلطات الجديدة بتخصيص أموال لتنفيذ الخطة المذكورة. ولكن ذلك لم يكن سوى جهد ضائع. وعليه، فقد قرروا أن يستخدموا وسائل أخرى وأن يرسموا بأنفسهم طريق الدراجات الذي أرادوا إنشاءه. وهنا يتذكر خيسوس أنه:»لم تتوافر أية وسيلة قانونية تجبر السلطات على تنفيذ الخطة. ومن ثم فقد قررنا تنفيذها بأنفسنا». وحالما وافقت السلطات على مطالبنا، تم إنشاء طريق جديد للدراجات في مدينة زابوبان في شهر آذار/ مارس الماضي، وفقاً لنفس الأسلوب الذي اتبعناه.

التعايش هو الأمان

إن نضال شباب حركة «مدينة للجميع» لا تتوقف عند هذا الحد. ففي خلال السنوات الأخيرة، قام هؤلاء الشباب بتنفيذ عدة أنشطة في شتى أحياء المدينة، وذلك لاسترداد الساحات العامة واستخدامها في مجالات عدة. ونظراً لأنهم عارضوا فكرة إنشاء طريق سريع على جادة إنغلاتيرا، فقد أطلقوا، بدعم من سكان الجوار، مشروع «المنتزه التخطيطي» الذي يرمي إلى تفضيل الإبقاء على شريط مسطح يفصل بين طريقي المرور. وقاموا بتحويل هذا الشريط إلى منتزه يتواجدون فيه كل يوم سبت من أجل تنفيذ أنشطة متنوعة، منها، على سبيل المثال، إعادة التشجير، وإنشاء الحدائق، وتنظيم عروض للأطفال. أما «منتزه الترحال» فهو اسم لنشاط آخر ينفذونه، ويتمثل في شغل ساحات مرور السيارات، وتخصيص طريق أو طريقيْ مرور لإقامة ألعاب، أو عروض موسيقية، أو تنظيم مباريات للسباق أو لكرة القدم. أما الهدف الذي يسعون لتحقيقه فإنه لا يتمثل في تعطيل مرور السيارات، وإنما يتعلق بتخفيف سرعتها، والتعويض عن نقص الأماكن الترفيهية في المدينة. وإضافة إلى ذلك، فإنهم ينظمون، عند حلول المساء، عروضاً لأفلام سينمائية وأفلام وثائقية في الهواء الطلق.

كل ذلك إنما يعني أن أنشطة هؤلاء الشباب لا تنحصر في القيام بحركات احتجاجية؛ ولكن حماسهم يدفعهم إلى اقتراح أشكال بديلة للتنمية الحضرية، وذلك على نحو حيوي وترفيهي. وكما يرى غيراردو، الذي أعد صور هذه المقالة، فيجب أن يتم تخطيط المكان العام على نحو يتيح للأفراد إقامة علاقات تبادل فيما بينهم. فالمكان العام ينبغي أن يكون بمثابة مجال «يحث على تشجيع التعايش بين الجماعات، وتعزيز التماسك الاجتماعي، والحفاظ على هوية الأحياء». ويوضح غيراردو أيضاً أن الأنشطة التي ينفذها هؤلاء الشباب إنما ترمي إلى إحداث تغيير في المدينة وفي أساليب الاختلاط بالآخرين في المكان العام، وذلك على نحو يتيح مكافحة كافة أشكال عدم الأمان في المحيط الحضري. وعلاوة على ذلك، فإن هذه الأنشطة تساهم في إقامة علاقات المواطنة، وتطوير العمليات التشاركية المتعلقة بصنع القرارات. وهكذا فإن أنشطة الشباب لا تؤثر على ظروف المكان العام والحياة اليومية للسكان فحسب، وإنما تؤثر أيضاً على الحياة السياسية للمدينة. ■

”الحياة كما الدراجة،
عليها الاستمرار
بالسير كي لا تفقد توازنها“
ألبرت أينشتاين

روث بيريز لوبيز، البالغة من العمر ٣٤ سنة، هي أخصائية اجتماعية ـ أنتروبولوجية من إسبانيا، وناشطة في رابطة «Bicitekas A.C.»، المعنية بتشجيع استخدام الدراجات ووسائل المواصلات المستدامة في المكسيك. وقد نشرت عدة مؤلفات ومقالات عن الفقر والشباب والمكان العام والتغيير الاجتماعي.

© أنيكا بورم، المكسيك

© كارلوس بارتيساغي كوك

ما الذي يمكن أن يُستخدم كخزان مياه، وموقع تشتية، ومأوى، وكوخ ثلجي، وطاحونة مياه، وقارب وطوْف؟ إن من الصعب الإجابة عن هذا السؤال، أليس كذلك؟ ومع ذلك فإن هذا الشيء موجود، وتم تصنيعه باستخدام زجاجات من البلاستيك وكابلات الانتشال، ويُسمَّى «الاسطوانة الإيكولوجية». ويبين مخترعها، وهو المهندس المعماري الشاب كارلوس بارتيساغي كوك، البالغ من العمر ٢٦ عاماً، لماذا ابتكر هذه الأداة التي انضمت إلى كثير من الأدوات التي سبق له تصميمها.

كارلوس بارتيساغي كوك

إيكولوجي إلى أبعد حد

غالباً ما نتساءل عما يحدد مسار حياتنا. وفيما يخصني، فإن مرضاً خطيراً أصابني عندما كنت طفلاً وأجبرني على أن أرقد طريح الفراش عدة أشهر بين الحياة والموت. وخلال هذه الفترة الطويلة من الوحدة، أفضت قراءاتي وتأملاتي إلى أن أكتسب دروساً صعبة رفعت معنوياتي وقوّت شخصيتي.

وبعد معاناة مع المرض دامت عدة سنوات، استردت صحتي، وشعرت بأن فرصة ثانية أتيحت لي وأن عليّ انتهازها حتى أكرس حياتي وعملي لتحقيق التغيير والتقدم من أجل أكثر الناس حرماناً.

تُعتبر الهندسة المعمارية ـ وهي المهنة التي فكرت في اختيارها منذ الصغر ـ بمثابة عمل بعيد كل البعد عن المجتمعات المحرومة؛ ويسود الاعتقاد على وجه الخصوص أن هذه المهنة ليست سوى وسيلة لتعزيز مكانة وشهرة العديد من المهندسين المعماريين الذين ينجزون عن طريقها أعمالاً ملفتة للأنظار وباهظة التكاليف. أما فيما يخصني، فقد أردت تغيير هذه الصورة التي بليت وعفا عليها الزمن والتي تخص ما يمكن أن يحدثه المهندس المعماري من تأثير على المجتمع. ولذلك قررت تكريس نفسي بالكامل لتصميم مشاريع وإجراء بحوث في مجال الهندسة المعمارية المستدامة، والتكنولوجيات الجديدة، وتغير المناخ، والاستجابة التي يمكن للمهندس المعماري توفيرها للتصدي للمخاطر الطبيعية.

وبعد سنوات من الجهود، تخرجت من الجامعة الوطنية «سان أوغسطين»، في أريكويبا، بيرو، وكنت أول الدفعة. وكان ذلك هو أول إنجاز حققته. وبعد مرور عدة أشهر، أسعدني الحظ بالمشاركة في مسابقة دولية تخص المبادرات البيئية. وبدعم من مرشدين تتلمذت عليهم، قمت بإعداد مشروع لإعادة تطوير مستجمع مياه نهر أريكويبا، الذي يرمي على الحفاظ على الأنشطة الزراعية، مع تشجيع السياحة التشاركية في المناطق الزراعية.

ولقد حاز هذا المشروع على جائزة وكسبت رحلة إلى ألمانيا حيث شاركت في مؤتمر الشباب البالغين المعني بالبيئة الذي نظمته شركة «باير». وكنا أكثر من مائة شاب معنيين بالبيئة نلتقي لتبادل الآراء من الناحيتين العلمية والثقافية بشأن الوسائل الكفيلة بالتصدي على نحو فعال لظاهرة تغير المناخ.

وبفضل هذه الرحلة، بدأت أكتب مقالات في مجلة تونزا للشباب التي يصدرها برنامج الأمم المتحدة للبيئة. وقد تمكنت، من خلال هذا النشاط، من تبادل آرائي وخبراتي مع كثير من شبان آخرين على الصعيد العالمي، وهو ما مثّل مصدراً مهماً للغاية للإلهام والتحفيز.

هذه المقالة هي ثمرة تعاون مع «تونزا»، وهي مجلة برنامج الأمم المتحدة للبيئة المخصصة للشباب.

ثم إني نظمت معارض، وتظاهرات وحملات؛ وألقيت محاضرات. كما تم تعييني كمعيد في الجامعة. وبالتعاون مع منظمة غير حكومية محلية، استطعت تصميم مشاريع اجتماعية وبيئية واسعة النطاق جعلتني أجوب سلسلة جبال بيرو، وأتاحت لي تكوين فكرة عن الفقر والتدهور الاجتماعي الذي يزداد تفاقماً، يوماً بعد يوم، في بلادنا.

التكنولوجيات المبتكرة

إن هذه التجربة ثبتت ما اقتنعت به طوال حياتي، وهو أنه ينبغي في بلدان ناشئة مثل بلدنا تطبيق تكنولوجيات ضئيلة التكاليف، يكون من شأنها أن تتماشى مع سياقات اجتماعية وثقافية واقتصادية مختلفة. ومن هنا نشأت فكرة اختراع الاسطوانة الإيكولوجية، وهي عبارة عن مأوى متعدد الأغراض قمت بتصنيعه باستخدام زجاجات من البلاستيك وكابلات الانتشال لتكوين بطائن متشابكة وملتصقة بعضها ببعض. ويمكن استخدام هذه الاسطوانة وتكييفها بطرق كثيرة وفقاً للمكان أو الاحتياجات أو الظروف المناخية. كما يمكن استخدامها كخزان مياه وموقع تشتية ومأوى وكوخ ثلجي وطاحونة مياه، وقارب وطوْف.

وثمة مشاريع أخرى مثل مشروع «السياحة الزراعية المنهجية» أو«مهن السياحة الإيكولوجية» نابعة من الفكرة المبدئية الرامية إلى دمج الأنشطة الزراعية والسياحة التشاركية. ففي الحالة الأولى، يتولى السكان إيواء السياح مجاناً مقابل أن يقوم هؤلاء بمساعدتهم في أنشطتهم، ويتعلمون منهم التقنيات الزراعية الموروثة عن الأجداد. كما أن هذا المشروع يشمل «مآوٍ ذاتية التكوين»، وهي عبارة عن مبانٍ أنشأها الفلاحون عن طريق إعادة تصنيع واستخدام الفضلات التي تتراكم في المدن الكبرى. أما فيما يخص المشروع الآخر، فهو يتمثل في تصميم حضري لجولات سياحية داخل محاجر «سيلار» المشهورة (وهي عبارة عن صخور بركانية) في ولاية أركويبا. ومن شأن تنظيم هذه الجولات خلق فرص عمل، مع حماية وتحسين الظروف الصحية والأمنية للعمال الذين يشتغلون في المحاجر والذين يتعرضون لعمليات نزع الملكية الغير القانونية.

وفي الوقت الراهن، فإني أقوم بإعداد مشروع لمعالجة النفايات المتراكمة في مدينة أركويبا (موضوع رسالة الدكتوراه التي أقوم بتحضيرها من أجل تثبيتي في الوظيفة)؛ ويشمل هذا المشروع إنشاء موقع للطمي والدفن خاضع للرقابة وإعادة تأهيله ليصير منتزهاً عاماً؛ ومن ثم يمكن الاستفادة من موقع استنفذ أغراضه. ويشمل هذا المشروع إنشاء معمل لفرْز النفايات الغير العضوية، بالإضافة إلى معمل آخر لإنتاج السماد. أما العاملون الغير الرسميون في المعمل الحالي فإنهم حاصلون على عقود عمل نظامية، مقترنة بأفضل شروط الصحة والنظافة الصحية والشخصية والأمن. كما ستتوافر لهم إمكانيات في مجال التدريب ورعاية الأطفال والأنشطة الترفيهية داخل البني الأساسية المخصصة لنفس المشروع. وسيمكن للأطفال والشباب زيارة متحف إفراغ النفايات، ومتابعة المسارات التربوية داخل المعمل.

وفي السنوات المقبلة، آمل أن أواصل التدريس وتطوير هندسة معمارية ضئيلة التكاليف يكون من شأنها المحافظة على البيئة. وإني أود أن أجعل من هذا العالم مجالاً يسوده مزيد من العدل والكرامة للبشر والطبيعة. ■

© باير AG

بيرو كارلوس بارتيساغي كوك، مهندس معماري من البيرو يلقي محاضرة في مدينة ليفركوزن بالمانيا عام ٢٠٠٧، باعتباره «مبعوث شباب البيئة» من باير.

© كارلوس بارتيساغي كوك

يمكن استخدام «الاسطوانة البيئية» لكارلوس وتكييفها بألف طريقة حسب الموقع، الاحتياجات أو الظروف المناخية.

© كارلوس بارتيساغي كوك

مواقع كارلوس بارتيساغي كوك:
http://www.wix.com/carlosbartesaghikoc/cbk

منظر بانورامي للمشروع «منظومة السياحة الريفية » تحتوي على «ملاجئ ذاتية الصنع»، ٢٠٠٩.
© كارلوس بارتيساغي كوك

ان هذه الثورة
قد شاركت فيها
كل الأجيال
حتى أولئك
الذين ماتوا قبل
اندلاع الثورة.

خالد يوسف خلال تواجده في اليونسكو لعرض فيلم هية فوضى، ١٣ نيسان/أبريل ٢٠١١.
© اليونسكو/ ميشيل رافاسارد

الثورة: فعل حضاري راق

أن يكون مخرجا لأفلام ساهمت في اندلاع ثورة يناير ٢٠١١ المصرية هي تهمة لا ينفيها وشرف لا يدعيه. بالنسبة لخالد يوسف، المخرج المشارك مع يوسف شاهين لفيلم «هي فوضى»، فان «الربيع العربي» هو عابر للأجيال وللحدود. وهو هنا يقدم رؤيته للأحداث وعواقبها على رقعة شطرنج الفن والمجتمع والسياسة الدولية.

خالد يوسف يجيب على أسئلة خالد أبو حجلة

كنت من بين الشخصيات البارزة في الدفاع عن شعارات ثورة ٢٥ يناير في مصر، بل ومشاركا فيها. كيف كانت مشاركتك، وما السبب وراء قرارك هذا؟

أعتقد أنه كان من البديهي أن أكون مشاركا، لأنني كنت أحد الذين شاركوا تقريبا في معظم التظاهرات الاحتجاجية والتي خرجت ضد هذا النظام منذ الثمانينيات. فقد كنت رئيس اتحاد الطلاب في الجامعة. وخلال التسعينيات، عارضنا موقف النظام من حرب الخليج، وكذلك موقفه من السياسات الداخلية التي كانت تتسم بكثير من القهر والظلم الاجتماعي والسياسي.

وبالتالي، كان من الطبيعي حين يدعو الشباب عبر «الفيس بوك» إلى تظاهرة – التي كانت في البداية تظاهرة احتجاجية ضد الممارسات القمعية للمؤسسة الأمنية – أن أشارك فيها منذ اليوم الأول.

فحين وصلنا إلى ميدان التحرير يوم ٢٥

يناير ٢٠١١، كان عددنا ما بين ٢٠ ٠٠٠ الى ٢٥ ٠٠٠ متظاهر. ومع مرور الوقت، كانت الأعداد تتزايد بعشرات الآلاف حتى وصل عددنا إلى نحو ثمانين ألفا بحدود منتصف الليل. وحين صدر القرار الأمني بتفريق المظاهرة بالقوة ونظرت إلى عيون هؤلاء الشباب، فشعرت أن فيها شيئا ما مختلفا حتى عن جيلنا تصدى لهم الشباب بصلابة. وقد لاحظت أن سلوك الشباب حين تصدت لهم الأجهزة الأمنية، كان سلوكا مغايرا لما عهدناه سابقا. ومغايرا لأي شكل كنت قد شاهدته أنا في المظاهرات السابقة. فكانت بالنسبة لي بشارة الثورة.

وقد تأكد يقيني من ذلك يوم الجمعة ٢٨ يناير حين خرجنا الى الشوارع، حيث كنا مقسمين إلى عدة مجموعات. مجموعة في جامع مصطفى محمود ومجموعة في جامع الاستقامة في الجيزة ومجموعة في مسجد النور في العباسية بحيث نخرج جميعا لنلتقي في بؤرة التجمع وهي ميدان التحرير. وكنت أنا في مجموعة جامع مصطفى محمود في المهندسين. لم أكن أعرف مدى حجم التظاهرة خلفنا. وقد كان يهمني أن أعرف ذلك، فقررت أن أعتلي عربة نصف نقل، ونظرت حولي فلم أر نهاية لجمهور المتظاهرين.

فقلت إنها الثورة.

هل تعتقد أن الأفلام التي أنتجتها مع المخرج الكبير يوسف شاهين مثل هي فوضى، في عام ٢٠٠٧، قد ساهمت في تعبئة وتوعية الشباب المصري؟

أنا لا أستطيع أن أدعي شرف أنني قد حرضت على الثورة. هذه تهمة لا أنكرها وشرف لا أدعيه. لكن يبدو أن هذا ما حصل فعلا، بل وأفلام سابقة على ذلك منذ الثمانينيات قد ساهمت في تشكيل وعي ووجدان هذه الأجيال التي كانت طليعة الثورة.

فلا يمكن أن يكون هذا الجيل من انتاج نفسه. لقد تشكل وعي هذا الجيل عبر أدوات التعبير الإنساني المختلفة، سواء الشعر أو الموسيقى أو المسرح أو السينما أو الفكر السياسي. نستطيع أن نقول مطمئنين أن هذه الثورة قد شاركت فيها كل الأجيال حتى أولئك الذين ماتوا قبل اندلاع الثورة. فمثلا ، عاطف الطيب (١٩٤٧ ـ ١٩٩٥) قد شارك في هذه الثورة ويوسف شاهين (١٩٢٦ ـ ٢٠٠٨) قد شارك في هذه الثورة، كما كل الناس الذين راهنوا على إرادات الشعوب وعلى الانحياز إلى البسطاء من هذا الشعب.

هل تعتقد أن نجاح ثورة٢٥ يناير سيؤثر على موضوع أفلامكم في المستقبل بمعنى أن المرحلة والظروف قد تغيرت؟

بلا أدنى شك أن هذه الثورة ستغير ليس طبيعة الأفلام فقط بل جميع ميادين الفنون والآداب. فهذا الانجاز، سيغير حتما طبيعة وجوهر الحياة في مصر ومن المؤكد أنه سيلقي بظلاله بالتالي على الفنون والآداب. وأعتقد أن النهضة التي نصبو إليها كمجتمع ستشمل أيضا نهضة في الفنون والآداب بشكل عام مما يستلزم تغييرا في المواضيع المطروحة وطبيعة النظرة إليها وطبيعة الرؤى المقدمة لتعكس طبيعة المرحلة الجديدة التي نمر بها.

وله‌ذا، فقد اختلط العام بالخاص، حيث أن الثورة السياسية ستلقي، بطبيعة الحال، ضلالها على القوى والتركيبة الاجتماعية في مصر. وطالما تغيرت القوى السياسية والتركيبة الاجتماعية فستتغير الفنون والآداب. إن ذلك ليس ضرورة فحسب، بل هو حتمي. كما أن ذلك يعكس الجدل من حيث التأثر والتأثير فيما بين المناخ السياسي والفنون.

فإذا ما عدنا إلى التاريخ، سنجد أن أفلام ما قبل ثورة ٢٣ يوليو تختلف عن أفلام مرحلة ما بعد الثورة. فقد شمل التغيير حتى قصص الغرام. وهذا يذكرني بالشاعر العظيم نزار قباني، الذي قال «هل يوجد من يختلي بحبيبته على ضفاف نهر النيل أو نهر الفرات دون أن تمر فوق رأسه طائرات ذاهبة لتقتل أطفال فلسطين أو أطفال العراق أو أطفال لبنان؟». أعتقد أنه ستقوم نهضة كبيرة في الفنون

طلاب من الجامعة الأمريكية بالقاهرة يتظاهرون لتعبئة زملائهم بضرورة التحول اليمقراطي في مصر.

والآداب، لكن ليس بشكل فوري، لأن هذه الأدوات من التعبير الإنساني تأخذ وقتا في عملية الفهم والاستيعاب. ونحن مقدمون على حدث كبير، ومن لا يكون على مستوى هذا الحدث وعلى مستوى مصر الجديدة التي تتشكل الآن، فسيبقى معزولا في بيته.

وبخصوص السينما. فالسينما هي رؤية. الا أن رؤية بلا استشراف للمستقبل تكون رؤية عاجزة. فالسينما يجب أن تكون، من جهة ملتصقة بالواقع وتعبر عنه بصدق، ومن جهة أخرى تستشرف المستقبل.

بالرغم من أنه قد يكون من السابق لأوانه تقييم نتائج ثورة ٢٥ يناير، هل أنتم راضون عن نتائج إنجازاتها حتى الآن؟

بلا أدنى شك، أنا راضي رضى تاما عمَّا أنجزته هذه الثورة وعندي تفاؤل تام بما ستنجزه هذه الثورة. فالثورة هي علم التغيير. عندما انطلقت هذه الثورة، غيرت أولا النظام السياسي. صحيح أنه سقط من حيث الشكل، إلا أننا في طور استبدال هذا النظام بنظام جديد يقوم على مبادئ الحرية والمساواة والديمقراطية ومبادئ العدالة الاجتماعية وهي الشعارات التي رفعتها الثورة. وأعتقد أن الشعارات التي رفعتها الثورة ستغير حتى التركيبة الاجتماعية في مصر. فكما غيرت ثورة يوليو (٢٣ يوليو ١٩٥٢) التركيبة الاجتماعية من مجتمع نصف بالمئة إلى مجتمع أكثر من ٩٠ بالمئة طبقة وسطى - وكان ذلك في حينه تغيير جذري للمجتمع المصري - أتصور أن هذه الثورة ستغير التركيبة الاجتماعية الراهنة، وستغير من طبيعة وجوهر شكل المجتمع المصري في الفترة المقبلة بلا أدنى شك. فلا سبيل لهزيمة إرادة المصريين التي صنعت هذه الثورة.

وأنا أتصور دائما أن إرادات الشعوب من إرادة الله لا يستطيع أحد هزيمتها. الشعب المصري امتلك إرادته وأخذ بزمام الأمور وقام بهذه المبادرة - هذه الثورة العظيمة - التي شكلت انجازا حضاريا. أعتقد أنه من الصعب للغاية أن تكون التغييرات القادمة شكلية وحسب، أو أن تقوم السلطة الجديدة على أساس النظام الأمني والقمعي أو على أساس الخلل الاجتماعي الذي كان قائما عبر انحياز الدولة إلى طبقة رجال الأعمال وظلمها للغالبية العظمى.

ذكرت في أكثر من مناسبة أننا مقبلون على عالم متعدد الأقطاب وأن العالم العربي سيكون أحد هذه الأقطاب بقيادة مصر. هل تتوقع تغييرا شاملا في العالم العربي بما ينسجم مع هذه الرؤية؟

(ضحك). ليس غريبا ما يقال في جميع أنحاء العالم عن ربيع الثورات العربية. كل العالم يتحدث عن ذلك ولسنا إذن واهمين. فالزخم الثوري الحادث الآن من الواضح أنه كان حتمية تاريخية. وحين تحدث ثورة في مركز إقليمي مثل مصر وبهذا الحجم، فتأكد تماما أن الموضوع قد انتهى. وهذا ليس «شوفينية» (تعصُّب قومي) بل هي حقيقة التاريخ والجغرافيا. مصر تغيرت، إذن العالم العربي سيتغير. تماما كما حدث حين انكفأت مصر على نفسها ولم تقم بدورها خلال الـ ٤٠ سنة الماضية، انتفت الأمة وتقزمت مصر، أليس كذلك؟ وحين تقوم مصر بدورها الحقيقي في قيادة هذه الأمة، فتأكد حينها أن الأمة العربية ستنهض مرة أخرى.

ليس بالضرورة أن تأخذ الثورات العربية نفس الشكل مثل الثورة المصرية لأن لكل مجتمع خصوصياته. ولكل مجتمع آلياته وآليات حركته التي يمكن أن تكون مختلفة عن آليات حركة المجتمع المصري. ولكن في النهاية، لابد أن يحدث التغيير، وكما أعتقد، إلى بلدان فيها مساحة للمشاركة الشعبية ومساحة للديمقراطية وحرية التعبير وتوزيع عادل للثروات.

© أفلام تادرارت

اللصق الفرنسي لفيلم هية فوضى لخالد يوسف.

فالتاريخ يؤكد على أن انفراد قوة عظمى بقيادة العالم لم يكن أبدا حقيقة تاريخية، بل هي مجرد مرحلة انتقالية إلى مرحلة جديدة تعيشها البشرية.

ووفقا لهذه الرؤية، فان الولايات المتحدة ستبقى بالطبع قوة عظمى، لكن إلى جانب قوى عظمى أخرى مثل روسيا واليابان والصين وأوربا سواء بقيادة ألمانيا أو فرنسا - والأمة العربية ستكون القوة السادسة في العالم بقيادة مصر التي ستمتلك أوراقها التي «تضعها على طاولة الكبار» حين يتم الحديث عن مصالح القوى العظمى. ■

لولا يوسف شاهين لما أصبحت مخرجا سينمائيا

«إن سبب وجودي السينمائي بعد إرادة الله هو يوسف شاهين. ليس بسبب أنه علمني أو منحني الفرصة، بل لأنه لولا يوسف شاهين لما عملت في مجال السينما أصلا. فقد اكتشف لدي موهبة لم أكتشفها أنا في نفسي. لم تكن لدي النية للعمل في مجال السينما. فقد درست الهندسة، والتقيت يوسف شاهين وأنا طالب في الهندسة. لم أتخيل أبدا أن أكون سينمائيا. كنت أعشق الصورة، إلا أنني لم أتصور أبدا أن أكون أحد صناعها إلى أن اكتشف هو هذه الموهبة لدي. وقد أصر على رأيه هذا على مدى ثلاث سنوات في الوقت الذي كان الكثيرون يسعون للعمل معه سواء في الإخراج السينمائي أو في التمثيل، وكان يلح علي بالعمل السينمائي باعتباري موهوبا، بينما كنت أردد دائما، أنني لا أشعر بذلك. وفي نهاية المطاف، قررت أن أوافق على اعتبار أن ليس هناك ضرر من المحاولة. لكن حينها فقط، أدركت أنه كان محقا. بالتالي، علي أن أقر وأعترف أن أي نجاح قد أحققه سيكون الفضل فيه بعد ربنا هو ليوسف شاهين.

إن أهم المحطات المهنية في حياتي هي محطة البداية مع يوسف شاهين وعملي معه على مدار عشر سنوات كمشارك في سيناريوهات أفلامه وكمخرج مساعد. وتدرجت في مهنتي حيث استغرق عملي كمخرج مساعد وقتا طويلا. ثم المحطة الثانية المهمة في حياتي المهنية، كانت هي بدايتي في انجاز أول فيلم سينمائي لي وكان فيلم العاصفة في عام ٢٠٠٠. وشكل ذلك الفيلم بداية حياتي السينمائية الحقيقية. بعد ذلك، قمت بإنجاز أحد عشر فيلما حتى عام ٢٠١١ بمعدل فيلم كل عام. وقد تخللت هذه الأفلام محطات مهمة أيضا مثل فيلم «حين ميسرة» و«هي فوضى» و «دكان شحاته». كانت هذه أهم الأفلام التي لاقت جدلا واسعا في المجتمع المصري كما لاقت نجاحا كبيرا سواء على المستوى النقدي أو على مستوى المهرجانات. وفي رأي النقاد، أسهمت هذه الأفلام في الحراك السياسي والاجتماعي والفني لدى المجتمع المصري خلال السنوات العشر الأخيرة.» - **خالد يوسف**

© ٢٠٠٧ نيجيل باري/ CPI

© اليونسكو/ أنيا فريندورف

فورست ويتيكر، سفير النوايا الحسنة لليونسكو

اعترافاً بالالتزام الفني والإنساني للممثل الأمريكي فورست ويتيكر، تم تعيينه سفيراً للنوايا الحسنة لليونسكو من أجل السلام والمصالحة، في ٢١ حزيران/يونيو ٢٠١١، في مقر المنظمة.

فهذا الممثل البالغ من العمر نحو خمسين عاماً، وأصله من ولاية تكساس، مثل أدواراً عديدة وبرز بروزاً رائعاً في دور الديكتاتور الأوغندي عيدي أمين دادا في فيلم كيفن ماكدونالد آخر ملوك اسكتلندا، يُخرج حاليا فيلماً بعنوان أفضل الملائكة. وتتجسد تحت هذا العنوان، المستوحى من خطاب القسم للرئيس لينكولن، قصة الجنود الأطفال في أوغندا.

كما أن فورست ويتيكر معروف أيضاً بالتزامه الإنساني، الذي نال بفضله جائزة «هومانيتاس»، التي تجري من خلالها مكافأة سيناريو سينمائي أو تلفزيوني يشجع احترام الكرامة الإنسانية والحرية، وجائزة «أمل في لوس انجليس».

والتزم فورست ويتيكر في إطار دوره الجديد كسفير للنوايا الحسنة لليونسكو بدعم البرامج المخصصة للشباب بوجه خاص، ولا سيما في مجال التربية من أجل السلام وحقوق الإنسان. ومن المتوقع أن يشارك في منتدى الشباب السابع لليونسكو في تشرين الأول/أكتوبر المقبل. ■

تعليم الفتيات والنساء في قلب شراكة عالمية جديدة

استقبلت المديرة العامة لليونسكو، إيرينا بوكوفا، في ٢٦ أيار/مايو ٢٠١١ ضيفين خاصين هما هيلاري رودام كلينتون، وزيرة خارجية الولايات المتحدة الأمريكية، وبان كي مون، الأمين العام للأمم المتحدة وقد اجتمع الثلاثة في حفل إطلاق الشراكة العالمية من أجل تعليم الفتيات والنساء، التي ستركز على التعليم الثانوي ومحو أمية الكبار، ولا سيما في أفريقيا وآسيا.

وشاركت سيسي مريم كايداما سيديبي، رئيسة وزراء مالي وشيخ حسينة، رئيسة وزراء بنغلاديش، في المنتدى الرفيع المستوى الذي تم تنظيمه في اليوم نفسه في مقر المنظمة، بحضور الآغا خان، الرئيس المؤسس لشبكة الآغا خان للتنمية وممثلين عن عدة شركات عالمية مثل نوكيا، وبروكتر أند غامبل، ومؤسسة GEMS التعليمية، ومايكروسوفت، وأبل، ومؤسسة باكارد.

ويبلغ عدد الفتيات اللواتي أصبحن في سن الالتحاق بالسنوات الأولى من التعليم الثانوي، في جميع أنحاء العالم، ولم يلتحقن لا بالتعليم الثانوي ولا بالتعليم الابتدائي نحو ٣٩ مليون فتاة، كما أن ثلثي الأميين من الكبار البالغ عددهم ٧٩٦ مليون إنسان هم من النساء. ولم يحقق سوى ثلث البلدان المساواة بين الجنسين في التعليم الثانوي. ■

مستقبل الكتاب

مثّل «الكتاب غداً ومستقبل الكتابة» موضوع المنتدى الثاني العالمي لليونسكو بشأن الثقافة والصناعات الثقافية (FOCUS ٢٠١١)، الذي عقد في الفترة من ٦ إلى ٨ حزيران/يونيو في فيلا ريالي دي مونزا (إيطاليا).

وكانت المسائل المتعلقة بنهضة الكتب الرقمية (الاقتصاد، حقوق المؤلف، المكتبات)، في صلب النقاش الذي نظمته اليونسكو، والذي حضره نحو ٢٠٠ من الكتاب والناشرين والعلماء والإعلاميين وأمناء المكتبات وعلماء الاجتماع والمدونين والباحثين وصانعي السياسات القادمين من حوالي أربعين بلدا.

«يمر الكتاب في يومنا هذا بواحد من أهم التحولات الأساسية في تاريخه»، هذا ما صرحت به في هذه المناسبة المديرة العامة لليونسكو، إيرينا بوكوفا، مضيفة: «لا يمكن لأي شركة ولا لأي مكتبة الادعاء بأنها تملك وحدها مفاتيح هذا المستقبل. وإن هذا المنتدى العالمي للثقافة والصناعات الثقافية يعبر تماما عن روح الانفتاح التي ينبغي أن نتبناها».

وتمكّن نحو ٨٠٠ طالب من متابعة أعمال المنتدى بفضل بث المناقشات في المدارس الثانوية في المنطقة. ■

© اليونسكو/ برونو كوتاكوردا

© اليونسكو/ أنيا فريندورف

عمر برنامج الإنسان والمحيط الحيوي ٤٠ عاما

قام برنامج الإنسان والمحيط الحيوي، التابع لليونسكو، احتفالاً بمرور ٤٠ سنة على إنشائه، بعقد مؤتمر دولي بعنوان «من أجل الحياة ومن أجل المستقبل: معازل المحيط الحيوي وتغير المناخ»، في درسدن (ألمانيا) يومي ٢٧ و ٢٨ حزيران/يونيو.

بعد أن قدم المشاركون جرداً لإنجازات هذا البرنامج الرائد الذي يهدف إلى التوفيق بين الحفاظ على البيئة والأنشطة البشرية، ناقشوا مسألة دور معازل المحيط الحيوي كأداة لتنفيذ السياسات المتعلقة بتغير المناخ.

وتمثل معازل المحيط الحيوي مواقع مختارة حيث يمكن اختبار أساليب جديدة بهدف ادارة أفضل للمصادر الطبيعية والتنمية الاجتماعية والاقتصادية. وتشارك المجتمعات المحلية بنشاط في عمليات الإدارة والبحوث والتعليم والتدريب المنفذة في هذه المواقع، الأمر الذي يجعلها أماكن لاختبار التنمية المستدامة. ■

وسائل الإعلام السمعي البصري في تونس ومصر

قام ريمي بفليملان، رئيس هيئات التلفزيون في فرنسا، ورودي كراتسا تساغاروبولو، نائب رئيس البرلمان الأوروبي، وإيرينا بوكوفا، المديرة العامة لليونسكو في ٣١ أيار/مايو بافتتاح المؤتمر الدولي للمنتجات السمعية البصرية التونسية والمصرية الذي تنظمه المؤسسات الثلاث التي يديرونها.

وشارك المدير العام لهيئة التلفزيون التونسية، مختار رصاع، والمدير العام للإذاعة التونسية، حبيب بلعيد، والمدير العام لهيئة الإذاعة والتلفزيون المصرية، سامي الشريف، في هذا المؤتمر الذي عقد في مقر اليونسكو، والذي ضم أيضا ممثلين عن مؤسسات الخدمة العامة السمعية البصرية في ألمانيا وبلجيكا وكندا وكرواتيا وإسبانيا وفرنسا وبريطانيا وإيطاليا ورومانيا والسويد وتركيا.

وتعد تهيئة الظروف لتنمية وسائل الإعلام الحرة والتعددية والمستقلة أمراً لا بد منه في أي تحوّل ديمقراطي. وفي مصر وتونس، حيث يوجد لدى أكثر من ٩٠٪ من الأسر تلفزيون واحد على الأقل، تمثل الإذاعة والتلفزيون أدوات أساسية لاستعادة ثقة المواطنين بالمؤسسات ومساعدتهم على المشاركة في الحياة العامة. ■

الشبكات الاجتماعية حسب شاشي ثارور

ألقى أول سياسي هندي يستخدم برنامج التواصل الاجتماعي تويتر في السياق المهني محاضرة في اليونسكو في ٧ حزيران/يونيو ٢٠١١، حول موضوع «وسائل الاتصال والشبكات الاجتماعية في اطار المتغيرات العالمية». وقد أبرز شاشي ثارور، الدور المتزايد لوسائل الإعلام الاجتماعية في العملية الديمقراطية (مثل ثورات «الربيع العربي») وفي حالات الكوارث الطبيعية (مثلما حدث مؤخرا في هايتي واليابان) أو حتى في الدبلوماسية الدولية.

واستشهد بمثال الزيارة الرسمية للرئيس أوباما إلى غانا، بعد وقت قصير من انتخابه. فعقب إعلان البيت الأبيض عن الزيارة، تلقى الرئيس الأمريكي أكثر من ٢٥٠ ٠٠٠ سؤال من الأفارقة في جميع أنحاء القارة، عن طريق الفيسبوك وتويتر.

وصرح قائلاً: «وسائل الإعلام الاجتماعية مرشحة للبقاء، وعلينا أن نتماشى معها. لذا يجب الاستفادة منها بأقصى قدر ممكن».

شاشي ثارور هو عضو في البرلمان الهندي. عمل في السابق كمستشار خاص للأمين العام للأمم المتحدة ومساعد الأمين العام لشؤون الاتصال والاعلام. وقد ألف العديد من الكتب التي كان لها صدى عالميا مثل، «نهرو واختراع الهند» (اصدار فرنسي عن سول، ٢٠٠٨) ■

العالم ألى اكتشاف

حدثني عن ...
في صفحات قليلة فقط يمكنك أن تجد كل ما تحتاج لمعرفته من مواضيع حول اليونسكو وبرامجها مثل: مواقع التراث العالمي، المحيطات، محميات المحيط الحيوي المناخ، الأرض، تجارة الرقيق، الفنون اليدوية ومنظمة اليونسكو. ان سلسلة حدثني عن هي عبارة عن سلسلة كتب تهدف إلى جعل المواد متاحة للقراء الشباب (بدءا من ١٠ سنين فما فوق)، باللغات العربية، الانجليزية، الفرنسية، الاسبانية والروسية.

بإمكانكم شراء أي من كتب هذه السلسلة من خلال عنوان الموقع:
www.unesco.org/publishing

بقايا من مساكن في
بحيرة ليدرو، إيطاليا

موتسو- جي حديقة
تمثل الأراضي الطاهرة
(الجنة البوذية)، اليابان

الحديقة الفارسية باغه
شاه زادة، إيران

طيور النحام على ضفاف
بحيرة ناكورو، كينيا

الشعاب المرجانية في
نينغالو، استراليا

تراث الانسانية 2011

في حزيران/يونيو 2011، أدرج 25 موقعا جديدا على قائمة التراث العالمي لليونسكو، بحيث أصبحت تحوي الآن 936 موقعا. تشتمل هذه المواقع الجديدة على:

مواقع أطلال منتشرة في أنحاء متفرقة من جبال الألب (سويسرا، ألمانيا ،النمسا، فرنسا ، ايطاليا و سلوفينيا)

هيريزومي - معابد ، حدائق ومواقع أثرية تمثل الأراضي البوذية الطاهرة، اليابان

الحديقة الفارسية، إيران

شبكة البحيرات في وادي التصدع الكبير، كينيا

ساحل نينغالو، أستراليا